المرأة في السيرة النبوية
بين الدعوة والمناوأة

تأليف

أ.د سليمان بن حمد العودة

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القصيم

طبع على نفقة س، ع، م

غفر الله له ولوالديه

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ بجوار جامعة أم القرى

هاتف وفاكس : ٠٠٩٦٦١٢٥٥٨٩٧٨٠ جوال: ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧

ح سليمان بن حمد العودة، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العودة، سليمان بن حمد
المرأة في السيرة النبوية بين الدعوة والمناوأة. / سليمان بن حمد العودة.- الرياض،
١٤٣٥هـ
١٨٦ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٠-٤٥٠١-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- المرأة في الإسلام ٢- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٤٣٥/٢٥٦٧

رقم الإيداع : ١٤٣٥/٢٥٦٧
ردمك: ٠-٤٥٠١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

القسم الأول :

المرأة والدعوة في عصر النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حين يكون الحديث عن الدعوة إلى الله فهو حديث عن أحسن القول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [١] وهو حديث عن المفلحين ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [٢]

وهو حديث عن سبيل الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم إلى يوم الدين ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٣]

وهو حديث عن عظيم الأجر واستمراره (من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه ..) وهذا الفضل شامل للرجل والمرأة، إذ أن النساء شقائق الرجال [٤] والمرأة مكلفة كالرجل وحيثما جاء النص الشرعي فهو شامل للرجال والنساء إلا ما دل الدليل على تخصيصه وفي هذا يقول الخطابي رحمه الله (إن

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٤) حديث أخرجه أبو داود في سننه ١ / ٦١ ج ٢٣٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ٤٦ وأخرجه الترمذي ١ / ١٨٩ ج ١١٣

الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها .[١]

والمتأمل في حياة المرأة في - زمن النبوة — يرى أنها كانت حاضرة ومشاركة لم تنفصل عن أحداثه و لم تنقطع أو تُهمل في صياغة الحياة، جاءت الرسالة المحمدية فاستجابت لها، وبُعث محمد ﷺ فكانت أول المؤمنين به، وجاءت الهجرة للحبشة والمدينة فكانت في طلائع المهاجرين ووقع الأذى على المؤمنين و لم تُستثنى أو تسلم منه المرأة، وكانت الدعوة - وهو مجال حديثنا — فكان للمرأة إسهام وفضل .. إن في المرحلة المكية أو المدنية، وبمفهوم الدعوة الشامل ومجالاتها المتعددة .

فما مجال إسهام المرأة في الدعوة في زمن النبوة؟ وكيف كانت أساليبها في الدعوة .؟

وأي فئة استهدفتها المرأة في الدعوة ؟

ما نتائج دعوتها ؟ وهل من عقبات أو معوقات اعترضت سبيلها في الدعوة ؟ وما هي الدروس أو العبر المستفادة والمستنبطة من دعوة المرأة ؟

ولعلنا في بداية الحديث نطرح سؤالاً ونجيب عليه، والسؤال يقول :

لماذا نعني ونؤكد على الدعوة في صفوف النساء ؟ هذا سؤال مهم وبكن اختصار الإجابة على أهمية هذا الأمر في عدة أمور منها :

---

(١) معالم السنن للخطابي، شرح سنن أبي داود ٢ / ١٦٢

١- مساهمة المرأة في تحقيق الخيرية لهذه الأمة، فخيريتنا مربوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله، بنص القرآن والسنة .

٢- المرأة تمثل نصف المجتمع أو تزيد، ومن الخير توعية هذا النصف وإصلاحه، ومن الهدر والتقصير عدم العناية به .

٣- وموقع المرأة في الأسرة المسلمة من الأهمية بمكان، فهي الحارس الأمين، وهي البوابة للحصون، وهي المدرسة الأولى للجيل، وصلاح المجتمع مرهون بصلاحها، ولذا توجهت السهام الموتورة إليها، والدعوة سبيل لحفظها ووقايتها بإذن الله من سهام الأعداء حتى لا تخترق حصوننا من داخلها .

٤- تحتل قضايا المرأة أهمية كبرى لدى الأمم، وتعقد من أجلها مؤتمرات، وتخرج فيها قرارات وتوصيات خطيرة ومؤثرة، وهي في غالبها تتنكر لشريعة الإسلام، وتلغي قيم المرأة المسلمة، وبالدعوة والعناية بالمرأة تكشف حقيقة هذه المؤتمرات والمؤامرات، والانطلاق من سيرة خاتم المرسلين ﷺ تؤصل هذه الدراسة، وتكسبها أهمية خاصة .

٥- ضعف الدعوة في صفوف النساء بشكل عام، وضعف التجديد في الآليات والوسائل المواكبة للعصر، وتنشيك هذه واقتراح البرامج بات أمراً ملحاً.

٦- عاطفة المرأة وسرعة استجابتها يؤكد الحاجة للدعوة، ويقدم لها البديل النافع عن الدعوات المشبوهة التي تتاجر بقضيتها .

٧- المشاريع العلمانية المضللة للمرأة، بقي لها من الأثر ما يستدعي الكشف والمصارحة ورفض الفكر الوافد، وهذا يُكشف بالدعوة ويجلي بالبرهان

لاسيما في زمن باتت الهوية الدينية شعاراً للعالم، ومؤسف أن يتشبث اليهود والنصارى وغيرهم بهويتهم ـــ وإن كانت منحرفة ـــ ويضل المسلم عن هويته المفقودة !!

٨- والطرح الإعلامي المنهزم والذي صور قضايا المرأة من وجهة نظر نبتت في غير أرضها وسيقت بغير شجرة الإسلام .. كل ذلك يحتاج إلى جلاء بوسائل الدعوة المختلفة .

٩-وثمة نشاط دعوي نسوي يحتاج إلى تشجيع ودعم، وتوسيع الدائرة إنما يتم بالدعوة وأساليبها المختلفة .

١٠- والمرأة نفسها ـــ كغيرها من الناس ـــ بحاجة إلى استمرار على الطاعة، وثبات على الحق والاستقامة، والدعوة ليست إحياءَ للآخرين فحسب، بل هي سبب لإحياء ذات الإنسان الداعية قبل غيره، فالداعية تفيد نفسها قبل إفادة الآخرين، وتنقذ نفسها قبل إنقاذ الآخرين .

١١- وحين تكون الانطلاقة من نصوص السيرة النبوية، وتكشف الدراسة عن أنماط من الدعوة في زمن النبوة، فذلك تأصيل لدعوة المرأة، وحافز للمرأة المعاصرة على الإسهام في الدعوة إلى الله في أكثر من مجال .

ميادين دعوة المرأة في زمن النبوة

المستقرئ لدعوة المرأة في زمن النبوة يطلع على سعة الميادين التي كانت مجالا لدعوة المرأة ومن هذه الميادين :

أولاً : مع الزوج (المرأة والدعوة مع الزوج) :

١- التسلية والتثبيت :

لا ريب أن محمداً ﷺ سيد الدعاة وقدوتهم، ولقد كانت زوجته خديجة رضي الله عنها المؤمنة والداعية الأولى، فهي أول من أسلم كما تقول عائشة رضي الله عنها [١] ومكثت مع رسول الله ﷺ يصليان سراً ما شاء الله كما قال الزهري . [٢]

وإذا كانت هموم الدعوة من الثقل بحيث يحتاج الداعية إلى تسلية وإيناس، فلقد كان لخديجة رضي الله عنها دور فاعل وأثر إيجابي في تسلية زوجها وحبيبها محمد ﷺ ، فكيف إذا إنصاف إلى التسلية تثبيت على الأمر وتقوية للعزيمة، إنها المرأة العظيمة (خديجة) آنست رسول الله ﷺ وسلته وثبتته في أشد أحواله، وذلك حينما نزل عليه الوحي – أول مرة – .

قال ابن إسحاق – واصفاً نزول الوحي وموقف خديجة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى

---

(١) الطبقات ٨ / ١٧ وبه قال قتادة والزهري، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وابن إسحاق وجماعة، ولم يستثنوا أحداً قبلها (الاستيعاب ٤ / ١٨١٩)

(٢) المصدر السابق ٨ / ١٧

فخذها مضيفاً إليها [١] فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت : أبشر يا ابن عم وأثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة [٢] وكانت تفرج عنه همومه من المشركين وتثبته وتصدقه، وتهون عليه ما يلقى من قومه – كما نقل ابن عبد البر . [٣]

إنه الاهتمام بشأن الزوج " لقد بعثت رسلي في طلبك " ثم التسرية والتثبيت عند حدوث الهموم والأذى، أو عند نزول الأمر الجلل (الوحي) وأنظر في عباراتها (أبشر واثبت) كيف جمعت بين التسرية والتثبيت ؟ الا ما أحوج الدعاة إلى هذا النوع من النساء، وما أكرم المرأة حين تشارك المرأة زوجها همومه الدعوية، وتكون عوناً وسنداً وناصراً ومثبتاً !

ولك أن تتصور مبلغ (الروع) الذي بلغه ﷺ وأنت تقرأ رواية البخاري وتجد فيها – مع ذلك – زيادة تسلية للنبي ﷺ حين تذكر من مكارمه وشيمه ما يبدد المخاوف، ويزيد في اليقين، فرسول الله ﷺ يعود إلى خديجة – بعد نزول الوحي – يرجف فؤاده ويقول : زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، وحين أخبر خديجة الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي، قالت له بلغة واثقة : (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).[٤]

---

(١) أي مائلاً ومستنداً إليها : لسان العرب ٢ / ٥٦١

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية – تحقيق همام وصعيليك ١ / ٣٠١

(٣) الاستيعاب ٤ / ١٨٢٠

(٤) صحيح البخاري، بدء الوحي ج ٣١

لقد كانت هذه العبارات في بيدأ من الجاهلية والإعراض، وتوقع الصدود والإنكار فكانت بلسماً شافياً، وهكذا فمهما وجد الداعية من أجواء الصدود والإعراض عن دعوته فحسبه تثبيت أقرب الناس إليه، ويسليه إيمان الأقربين بدعوته، لكن خديجة رضي الله عنها تضيف فوق هذا تخفيف المخاوف المستقبلية والتنويه بالقدرات والأخلاق المعينة على الدعوة وتبعاتها.

لا غرابة بعد ذلك أن يعلن النبي ﷺ حبها (إني قد رزقت حبها[١]

وأن يعترف لها بالفضل والسابقة والمؤازرة (آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس ..) [٢]

٢ – ثبات المرأة وإن زاغ زوجها :

الإيمان الصادق عامل من عوامل الثبات في الأزمات، وإذا كان يحمد للمرأة مشاركة زوجها في الإيمان والدعوة للحق، فكيف إذا ثبتت المرأة على الإسلام مع مخالفة زوجها ؟

وهنا مواقف ثلاثة تُذكر للمرأة وتحمد عليهما :

يمثل الموقف الأول أم سليم الغميصاء ويقال الرميصاء، وسهلة، ورميلة [٣] بنت ملحان رضي الله عنها مع زوجها : مالك بن النظر، فقد أسلمت أم سليم وزوجها

---

(١) صحيح مسلم ج ٢٤٣٥

(٢) مسند أحمد (الفتح الرباني ٢٠ / ٢٤٠) وقال الهيثمي : إسناده حسن (مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٧)

(٣) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٤٢٤

غائب، فلما قدم استنكر إسلامها، وقال لها : أصبوت ؟ قالت : ما صبوت، ولكني آمنت بهذا الرجل . [١]

وهكذا وكما استنكر (مالك) زوجها فقد أنكرت هي أن تكون (صبئت) وأجابت بلغة واثقة مؤمنة (ولكني آمنت بهذا الرجل) .

يقال هذا في بيئة تعتبر الخروج عن المألوف (صبوة) ومع أقدر الناس على عقوبة المرأة وهو الزوج فلله در (أم سليم) حين تلقن النساء دروساً في الثبات على الحق وإن خالف الزوج .

أما الموقف الثاني فتمثله (حواء بنت يزيد بن سنان الأنصارية) فقد أسلمت وكتمت عن زوجها (قيس بن الخطيم الشاعر) إسلامها وكان يدخل عليها فيراها تصلي فيأخذ ثيابها ويضعها على رأسها : إنك لتدينين ديناً لا يُدرى ما هو، ثم قدم قيس مكة وكان النبي ﷺ علم بإسلامها وما تلقاه من زوجها، أمره أن يكف عنها فاستجاب لذلك، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال : وفى الأدعج، ويرى ابن حجر أن إسلامها كان بين العقبة الأولى والثانية، ووصية النبي ﷺ لقيس بها في العقبة الثانية (الإصابة) وعزاه ابن إسحاق في السيرة وغيره .

إنه الاغتراب في الإسلام، والصبر على السخرية والأذى، ولكن العاقبة للتقوى .

---

(١) المصدر السابق ٨ / ٤٢٥

ويمثل الموقف الثالث وقد يكون أبلغها في الثبات موقف (أم حبيبة) رضي الله عنها من زوجها (عبيد الله بن جحش) حيث هاجرت معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وأرتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها، كما قال ابن سعد . (١)

ولندع (أم حبيبة) رضي الله عنها تروي لنا قصتها مع زوجها حيث تقول : رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أرى ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت : والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات . (٢)

وكذلك تضرب المرأة نموذجاً في الثبات حتى وإن زاغ أقرب الناس إليها وإن كان أبوها (أبو سفيان) من صناديد الكفر – في ذلك الزمن – لقد اجتمع على المرأة، ظروف الغربة (بأرض الحبشة) وردة الزوج ومخالفة الأب والعشيرة .. ومع ذلك صبرت وثبتت، وكانت خليقة بالمكافأة، ولعل زواج النبي صلى الله عليه وسلم بها بعد ذلك مكافأة لثباتها وتثميناً لموقفها .

---

(١) الطبقات ٨ / ٩٦

(٢) الطبقات ٨ / ٩٧، وأخرج القصة الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٠، ٢٢ – وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وأنكره في السير ٢ / ٢٢١

٣ - دعوة الزوج للحق :

تجاوزت المرأة في زمن النبوة - الثبات على الحق مع مخالفة الـزوج ، إلى دعوته للإسلام سواء كان مسلما من قبل ثم ارتد-كما في قصة أم حبيبة (السابقة) حيث أخبرته بسوء عاقبة ردته (والله ما خير لك) ثم خوفته برؤيا رأتها عساه أن يعود لكن دون جدوى - وقد سبق بيان ذلك -

أو كان الزوج مشركا و لم يسلم بعد ، فتكون الزوجة سببا في إسلامه ونجاته من النار ، ذلك موقف يذكر لأم سليم رضي الله عنها مع زوجها الآخر (أبو طلحة) فقد خطبها وهو مشرك فأبت عليه وقالت له : أرأيت حجرا تعبده ولا يضرك ولا ينفعك أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك هل يضرك ؟ هل ينفعك؟ قال : فوقع في قلبه الذي قالت ، وآمن ، وكان صداقها الإسلام [١] وفي رواية أخرى أنها قالت لأبي طلحة : أما تستحيي تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟ قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأزوجك نفسي ؟ لا أريد منك صداقا غيره ؟ قال لها : دعيني حتى انظر ، قال فذهب فنظر ، ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالت : يا أنس قم فزوج أبا طلحة . [٢]

---

(١) الطبقات ٨ / ٤٢٦، وأخرجه النسائي ٦ / ١١٤ في النكاح، باب التزويج على الإسلام ورجال ابن سعد ثقات، وسند النسائي صحيح، انظر سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٠٥ وتعليق شعيب الأرناؤط هامش (٢)، وقال ابن حجر في الإصابة ١٢ / ٢٢٧ ولهذا الحديث طرق متعددة .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٤٢٧

وهنا في (دعوة المرأة زوجها) تنبيه وملمح تربوي، وهدي نبوي، فمع ما يُذكر للمرأة من دعوة زوجها للخير، وتُشكر على جهودها في النصح للزوج فلا ينبغي أن تصاحب هذه الدعوة ما يثير الزوج إلى حد الغضب والسباب فيتحول المعروف إلى منكر، وربما غلب (الوزر) (الأجر)، إذ غضب الزوج عظيم، وهدف الدعوة تحقيق الخير وتأكيد المعروف، والخصام بين الزوجين فضلاً عن فراقهما من عمل الشيطان، والدعوة حكمة وموعظة حسنة .

فالتحذر المرأة ذلك حتى ولو قصَّر الزوج في شيء من أمور العبادة لضعف فيه أو لعذر عنده ولتحذر أن تستفزه بعمل شيء من القربات لا يأذن به، أو تشكوه في منعه إياها لطاعات — قد تكون طاعته مقدمة عليها - .

ولهذه المعاني والملامح تُذكر قصة زوج صفوان بن المعطل رضي الله عنه وعنها حين شكته للنبي ﷺ فما هي القصة ؟ وما هو توجيه النبي ﷺ حيالها ؟

أخرج أبو داود — بسند صحيح — عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ قَالَ فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا قَالَ فَقَالَ لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتْ النَّاسَ وَأَمَّا قَوْلُهَا يُفَطِّرُنِي فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَا أَصْبِرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا وَأَمَّا

قَوْلُهَا إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ . (١)

إن من فقه المرأة في الدعوة مراعاة الأولويات وتقدير حاجيات الزوج، والنظر بعمق لتحقيق المصالح المشتركة بين الزوجين .. ليس الشأن مجرد دعوة الزوج – أياً كانت النتائج والآثار-وإنما الشأن في الترغيب في الخير وقبول النصح .. ولاسيما في نوافل القربات ومسنونات الأقوال والأفعال ..

إن فقه المرأة لهذه القضية في الدعوة – بشكل عام – ومع الزوج على وجه الخصوص يحقق نتائج طيبة، ويدفع الآثار السيئة .

٤- مساندة الزوج بالمال :

إذا كان المال ضروريا للحياة فالدعوة تحتاج باستمرار إلى المال ولقد ضربت المرأة المسلمة في زمن النبوة بسهم وافر في هذا الميدان ونعم المال الصالح للرجل أو المرأة الصالحة، ومن بين ما تنكح المرأة له مالها .

وحين نعود للمرأة الأولى في الإسلام (خديجة) رضي الله عنها نجد أنها واست النبي ﷺ بمالها وكانت صاحبة مال تتاجر به وتؤجر الآخرين للاتجار به، وقد ذهب محمد ﷺ قبل البعثة بتجارة لخديجة إلى الشام، فلما تزوج النبي ﷺ بها وكانت صاحبة مال سخرت هذا المال في سبيل الله وخدمة الدعوة لدينه، وقد

(١) انظر : صحيح سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها، وقد صحح الحديث ابن حجر في الإصابة، وأجاب على إشكالات وتضعيف من ضعفه (الإصابة : ٥ / ١٥٣)

اعترف النبي ﷺ بهذا الفضل وقال : (وواستني بمالها إذ حرمني النـــاس) [١] ومن مواساتها وطواعيتها للنبي ﷺ بالمال أنها حين رأت ميل رسول الله ﷺ إلى زيد بن حارثة - وكان في ملكها — وهبته له فكانت سبباً فيما حازه زيـــد من السبق للإسلام[٢] .

وكان لها في حصار الشعب مؤازرة وإطعام، فقد روى ابن إســـحاق أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجـــة بنـــت خويلد وهي تحت رسول الله ﷺ وهو في الشعب إذ لقيه أبو جهل فقـــال : تذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد : تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده ؟ فأبى أبو جهل أن يدعه . [٣]

٥ — تشجيع الزوج على بذل الخير :

قد لا يكون عند المرأة مال تدعم وتساند زوجها ولكنها تستطيع القيـــام بدور المشجع والمذكر والمبارك لعمل الخير، وحين يقطع بأثر المرأة على الـــزوج — إن في الإنفاق أو في الإمساك — فمما تذكر به المرأة أن تكون عونا لزوجها على فعل الخير، وفي زمن النبوة وجدت نماذج مشجعة على فعل الخير وكـــان (لأم الدحداح) رضي الله عنها موقف صدق وتشجيع لزوجها (أبي الدحداح) رضي الله عنه

---

(١) المسند لأحمد (الفتح الرباني ٢٠ / ٢٤٠) وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٧ .

(٢) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ٢١٦

(٣) السيرة ص ١٤٠، ١٤٢، تحقيق محمد حميد الله (ط الرباط)

حين تصدق بحائطه في المدينة وباعه في نخلة بالجنة - وكان أغلى ما يملك - فلما جاء يعلمها الخبر ويقول : يا أم الدحداح أخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة ؟ قالت : (ربح البيع) أو كلمة تشبهها .[١]

ولك أن تتصور بستاناً مزهرةً يخرج منه الزوج عند سماعه بنعيم الجنة فتشاركه الزوجة مشاعره وتبارك له خطوته، إنه الإنفاق الكبير، وكبح جماح النفس عن الشح والأثرة والبخل والأنانية، وإذا عُدّ من (هنات) المرأة تثبيط الزوج عن النفقة وتذكيره بمجبنة الولد ومبخلة - ولا كثر الله هذا النوع من النساء - فتعد في كرائم النساء تلك التي تساعد على الخير وتشجع على الإنفاق، وأولئك من أطول النساء يداً .. وأسرعهن في الصدقة وأكثر الله من أمثال هؤلاء النسوة .

ويتكرر المشهد مرة أخرى مع (أم سليم) رضي الله عنها زوج (أبي طلحة) رضي الله عنه وقد عجب الله من صنيع الزوجين (أبو طلحة، أم سلمة) مع ضيفين قدما على النبي ﷺ فلم يجد عند نسائه شيئاً، فقال: ألا رجل يضيف هذا الليلة يرحمه الله؟ فقال رجل (أبو طلحة) أنا يا رسول الله، فذهب إلى زوجته فقال: هذا ضيف رسول الله لا تدخريه شيئاً، واتفقا على أن يقدما للضيف قوت الصبية، بعد أن يطفئا السراج، ويوهم الضيف بأنهم يشاركونه الأكل وهم ليسوا

(١) أخرجه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٣٢٤)

كذلك، فعجب الله من صنيعهم وأنزل قوله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[١]

٦ – الجوار والتأمين :

ربما كانت المرأة سبباً في إسلام زوجها لجوارها إياه، أو تأمينها له ممن يطلبه، أخرج ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي كما قال ابن حجر [٢] أن زينب بنت رسول الله ﷺ كانت تحت أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت مع أبيها، وأبى أبو العاص أن يسلم [٣] ثم شهد أبو العاص وقعة بدر مع المشركين فأسر وحين جاء أخوه (عمرو) لفدائه أرسلت معه زوجته (زينب) قلادة من جزع كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ عرفها ورق لها، وكلم الناس فأطلقوا (أبا العاص) ورد على (زينب) القلادة . [٤]

وإذا كان هذا فضلاً من زينب على زوجها، فالفضل الأكبر حين أجارته وكانت سبباً في إسلامه وذلك حين أسرت سرية زيد بن حارثة نفراً من قريش خرجوا إلى الشام في عير قريش، وكان منهم (أبو العاص) فلم يعد أن جاء المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ بسحر وهي امرأته فاستجارها

---

(١) البخاري في التفسير (ويؤثرون على أنفسهم) ح ٤٦٠٧، ورواه مسلم ح ٢٠٥٤ وصرح بذكر اسم (أبي طلحة) فتكون زوجته (أم سليم رضي الله عنها) والآية في سورة الحشر : ٩ .

(٢) الإصابة ١٢ / ٢٧٣

(٣) الطبقات الكبرى ٨ / ٣١

(٤) الطبقات ٨ / ٣١

فأجارته، فلما صلى رسول الله ﷺ قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟ قالوا: نعم، قال : فو الذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت.

فلما أنصرف النبي ﷺ إلى مترله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ففعل، وأمرها ألا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركاً، ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم أسلم ورجع على النبي ﷺ مسلماً مهاجراً، في المحرم سنة سبع من الهجرة، فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بذلك النكاح الأول. (١)

أرأيتم كيف كان دور المرأة في إسلام زوجها، وكيف عادت هذه الإجارة (النسوية) بعودة (أبي العاص) مسلماً مهاجراً ؟

كما وقع مثل ذلك من (أم حكيم بنت الحارث) رضي الله عنها زوج (عكرمة بن أبي جهل) رضي الله عنه فقد أسلمت (أم حكيم) عام الفتح وأتت رسول الله ﷺ فبايعته .(٢)

---

(١) الطبقات ٨ / ٣٣

(٢) الطبقات ٨ / ٢٦١

ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام أسلمت يوم الفتح، واستأذنت النبي ﷺ بطلب زوجها عكرمة فأذن لها وأمَّنَه . (١)

وقال ابن حجر : شهدت (أم حكيم) (أحداً) وهي كافرة، ثم أسلمت في الفتح، وكان زوجها فر إلى اليمن فتوجهت إليه بإذن من النبي ﷺ فحضر معها وأسلم . (٢)

عكرمة رضي الله عنه ابن (فرعون هذه الأمة) وهو من الشدة والعدوان على رسول الله ﷺ والإسلام ما يُعلم .. ولكن شاء الله له أن يسلم، وشاء أن يكون لزوجته (أم حكيم) سبب في هذا الإسلام .. حيث أذهبت كبرياء الجاهلية عنه بتأمين رسول الله ﷺ له، فجاء بطوعه واختار الإسلام، وكذلك يفعل الله ما يشاء وبأيسر الأسباب، وإلا فمن يتوقع إسلام عكرمة وهو إلى فتح مكة ربما فكر أن يكون خليفة (أبيه) في المحاربة والعدوان إلا و أن المرأة – على ضعفها وهي أحدى الضعيفين – ربما قويت على ما يعجز عنه الرجال الأقوياء ؟

٧ – مشاركة الزوج في الهجرة :

لم تكن الهجرة (سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة) سياحة يتنزه فيها المهاجرون، بل كانت ضرباً من ضروب المجاهدة، حيث يعز على النفس مفارقة العشيرة والوطن ..

---

(١) الإصابة ١٢ / ١٩٧

(٢) المصدر السابق .

ولم تكن الهجرتان (إلى الحبشة، وإلى المدينة) لمجرد التخلص من أذى قريش ومطاردتها للمؤمنين، بل كانت مع ذلك لوناً من ألوان جهاد الدعوة .

ولم يختص الرجال بفضل هاتين الهجرتين بل كان للمرأة شرف المشاركة مع أزواجهن وقد عد ابن إسحاق مجموعة من المهاجرات للحبشة (في الأولى والثانية) مع أزواجهن . (١)

وهذا دليل على مشاركة المرأة لزوجها في الدعوة للإسلام حيث كان ذلك من بواعث الهجرة وأهدافها، وكانت الهجرة كذلك دليلاً على صبر المرأة وتحملها في سبيل الله، ومن المؤكد أن للغربة آلامها وللهجرة ضريبتها، وهذا ما عبرت عنه أسماء بنت عميس رضي الله عنها وهي ممن مكثت بأرض الحبشة قرابة أربعة عشر عاماً (من السنة الخامسة للبعثة حتى السنة السابعة للهجرة) مع زوجها جعفر رضي الله عنه ، حين قالت في حوارها مع عمر رضي الله عنه " كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله " (٢)

ولهذا بشرها النبي ﷺ ومن وراءها من المهاجرين بقوله : " بل لكم يا أصحاب السفينة هجرتان " (٣) وحين يذكر جهاد المرأة بالهجرة وصبرها على الشدائد، فلا ينسى موقف أم المؤمنين (أم حبيبة) رضي الله عنها في أرض الحبشة حين

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ١ / ٣٩٨ - ٤٠٨

(٢) البخاري ٥ / ١٨٠، ومسلم ٤ / ١٩٤٦

(٣) البخاري في المغازي غزوة خيبر ٧ / ٣٧١، ٣٧٢ – ومسلم في فضائل الصحابة (جعفر وأسماء) ح ٢٥٠٣، وطبقات بن سعد ٨ / ٢٨١

أرتد زوجها فثبتت – وقد سبق البيان – ولا ينسى بحال موقف (رقية) بنت رسول الله ﷺ وقد هاجرت مع زوجها عثمان رضي الله عنهما إلى الحبشة، وقد عده ابن إسحاق أول من هاجر ومعه رقية [١]، وقد ورد عنه ﷺ أن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط . [٢]

أما موقف (أم سلمة) رضي الله عنها في حديث الهجرة للمدينة فهو عجب من العجب يؤكد إصرار المرأة وصبرها وعلو همتها وعظيم تضحيتها، ويكفي أن تورد قصتها وآل بيتها في الهجرة ليوقف على مواطن العجب، جاء في صحيح مسلم : أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ بيت أبي سلمة . [٣]

وقد أخرج ابن إسحاق – بسند حسن – قصة كفاح وصبر أم سلمة في الهجرة حتى وصل الأمر إلى خلع يد طفلها – حين تنازع فيه أهلها وأهل زوجها – وفُرّق بين المرأة وزوجها ومكثت سنة أو قريباً منها تخرج إلى الأبطح فتضل تبكي حتى تمسي، حتى رق لحالها من ليس على دينها وأذن لها قومها بالهجرة فلحقت بزوجها، وعبَّرت أم سلمة عن صبرها وتحملها بقولها (والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة) . [٤]

---

(١) ابن هشام : السيرة ١ / ٣٩٨

(٢) البسوي : المعرفة والتاريخ ٣ / ٢٥٥

(٣) مسلم ٢ / ٦٣٢ كتاب الجنائز

(٤) السيرة لابن هشام ٢ / ٧٧، ٧٨، وانظر : السيرة في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص ٣٥٨

وهل يغيب عن البال أن بعض المهاجرات في المدينة هاجرت وقد بلغ حملها نهايته، وما أن وصلت المدينة حتى وضعت حملها، كما وقع لأسماء بنت أبي بكر وولادة عبد الله بن الزبير فهو أول مولود.

٨ – مواساة الزوج والصبر على المصيبة :

عاطفة المرأة تفوق عاطفة الرجل – في الغالب – وصبر الرجل أعلى من صبر المرأة – غالباً – إلا أننا أمام جيل قد تغلب المرأة بصبرها على صبر زوجها، وقد تتجاوز عواطفها وتنجح في التسرية عن مصاب زوجها تلكم قصة أم سليم مع أبنها المتوفى، وزوجها (الموتور) فما هي أحداث القصة ؟

كان لأم سليم ابن يقال له (أبو عمير) وكان النبي ﷺ يمازحه ويقول : يا أبا عمير ما فعل النغير؟ [(١)].

فمرض الغلام وأبوه (أبو طلحة) غائب في بعض حيطانه، فهلك الصبي، فقامت أمه فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوباً وقالت : لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره فجاء أبو طلحة، فتطيبت له وتصنعت له وجاءت بعشاء، فقال : ما فعل أبو عمير فقالت : تعشه فقد فرغ، فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، ثم قالت أم سليم : يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية، فطلبها أصحابها أيردونها أو يحبسونها ؟ فقال :

---

(١) أخرجه البخاري : انظر – الفتح ١٠ / ٥٨٣ - ٥٨٥

بل يردونها عليهم، قالت : فاحتسب أبا عمير، فانطلق كما هو إلى النبي ﷺ ، فأخبره بقول أم سليم، فقال ﷺ : « بارك الله لكما في غابر ليلتكما » . (١)

إنها المواساة الجميلة، والحوار العقول، وكظم الغيظ والتجمل والانبساط رغم الحزن والأسى، كذلك ارتقت المرأة في - زمن النبوة – إلى هذا المقام، ومهما تحدث الدعاة – رجالاً كانوا أم نساءً – عن الصبر على المصيبة، أو مواساة الزوج فلن يبلغوا ما بلغت أم سليم رضي الله عنها .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا .. وقد عوض الله الزوجين الصابرين – وللمرأة قدحه المعلى – بمولود آخر بارك الله فيه وله بدعوة محمد ﷺ ، فما كان في الأنصار ناشئ أفضل من المولود الجديد الذي سماه النبي ﷺ (عبد الله) بن أبي طلحة . (٢)

وفي رواية ثالثة : أن صبر (أم سليم) على فقد حبيبها (أبي عمير) جدد صبر زوجها وقال حين أخبرته " والله لا تغلبيني الليلة على الصبر) فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره ودعا لهما ثم جاء الغلام الجديد (عبد الله) .

قال أحد الرواة : " عبابة " فلقد رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد ختم القرآن . (٣)

---

(١) الطبقات ٨ / ٤٣١، وقريب من هذا السياق جاء في صحيح مسلم ح ٢١٤٤

(٢) الطبقات ٨ / ٤٣٣ * أخرجه البخاري ٨٥٣

(٣) الطبقات ٨ / ٤٣٤

تلكم أثر من آثار المرأة المباركة الصابرة المحتسبة، فأين النساء من هذا النموذج ؟

على أن صبر المرأة على المصاب لم تكن أم سليم نموذجه الوحيد، فأسماء بنت عميس شخب ثديها دماً حين كظمت غيظها على قتل ابنها محمد بن جعفر وقامت تصلي في مصلاها [١]

ثانيا : مع الأولاد :

مسؤولية المرأة في بيتها ومع أولادها مسؤولية كبرى، ودعوتها وتربيتها لأبنائها وبناتها جهد يستحق العناية ويستجيب للمطالب الشرعية (والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها)

والراصد لدعوة المرأة في زمن النبوة مع أولادها يقف على الجهود الدعوية التالية :

١- تربية الناشئة :

تربية الناشئة على مقامات الإسلام ومكارم الأخلاق والإعداد للمستقبل جهد قامت به المرأة المسلمة في زمن النبوة .

ومن يجهل أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ وحافظ السنة وهل يخفى أن وراء تربيته أمه (أم سليم) رضي الله عنها ، فقد كانت عنايتها بطفلها مبكرة، حيث كانت تلقنه الشهادتين، وتشير إليه وتقول : قل لا إله إلا الله، قل

(١) ابن حجر : الإصابة ٧ / ٤٩٠ - تحقيق البجاوي

أشهد أن محمداً رسول الله، ويفعل الغلام ذلك فتثور ثائرة الأب (المشرك) لا تفسدي عليّ ابني، فترد الأم (المربية) إني لا أفسده .[١]

وربما تأخرت الأم عن الزواج بسبب عنايتها بابنها (أنس) وهي التي كانت تقول – حين خطبها أبو طلحة – لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس، فيقول : جزى الله أمي عني خيراً لقد أحسنت ولايتي .[٢]

لقد هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأنس غلام لم يجاوز العاشرة من عمره، فجاءت به أمه تعرضه على النبي ﷺ ليخدمه، وليستفيد من أخلاق النبي ﷺ وتربيته ما تعجز عنه الأم فقبله النبي ﷺ وخدم النبي ﷺ عشر سنين، ولقد شهد (بدراً) وإن لم يذكر في البدريين لأنه خرج خادماً للنبي ﷺ ولم يكن في سن من يقاتل .[٣]

وإمعانا في استقامة الغلام وكثرة مناقبه فقد طلبت أمه (أم سليم) رضي الله عنها من النبي ﷺ حين زارهم وصلى في بيتهم – غير المكتوبة – ودعا لأم سليم ولأهل بيتها أن يخص أنساً بالدعاء فقالت : لي إليك خويصة يا رسول الله، قال وما هي ؟ قالت : خادمك أنس (يعني تدعو له) فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به لأنس، ثم قال : اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له، قال أنس : فإني لمن

---

(١) الطبقات ٨ / ٤٢٥

(٢) الطبقات ٨ / ٤٢٦

(٣) ابن حجر : الإصابة ١ / ١١٣

أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه قد دفن لصلبي إلى مقدم الحجاج البصرة تسعا وعشرين ومائة.[١]

أجل لقد بلغت عناية المرأة بغلامها مبلغها، ووعى الغلام وشب على المكارم والمعالي، وكان أقرب الناس إلى هدي النبي ﷺ حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم يعني أنساً.[٢]

وكما استقام في أمر الدين .. فقد استقامت له الدنيا، وكان بعد أهلاً لتحمل المسؤوليات الجسام، ويكفيه تزكية الشيخين (أبي بكر وعمر) فحين استخلف أبو بكر بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين على السعاية، فدخل عليه عمر فاستشاره، فقال : ابعثه فإنه لبيب كاتب، فبعثه .[٣]

ويصدق على أنس القول بأن خلف كل عظيم امرأة .. فكيف إذا كانت أمه سبباً في قربه وخدمته لسيد العظماء؟

ونموذج آخر من نماذج تربية المرأة (أسماء بنت أبي بكر الصديق) مع غلامها عبد الله بن الزبير، أول مولود للمسلمين بعد الهجرة، وأحد الشجعان من الصحابة، حملت به أمه في مكة فجاء حدث الهجرة للمدينة وهي متمة، فتحملت به عناء السفر – في سبيل الهجرة لله ولرسوله -فلما بلغت قباء ولدت

---

(١) الطبقات : ٨ / ٤٢٩

(٢) الإصابة : ١ / ١١٤

(٣) الإصابة : ١ / ١١٤

الغلام، ثم أتت به النبي ﷺ فوضعه على حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم بصقها في فيه، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ ثم مسحه وصلى عليه وسماه (عبد الله)، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه . (١)

قال ابن الزبير : هاجرت وأنا في بطن أمي (٢) .

آتت تربية عبد الله بن الزبير ثمارها فمع كونه في عداد صغار الصحابة سنا فقد كان كبيرا في العلم والشرف والجهاد والعبادة كما قال الذهبي (٣) وكان يسمى حمامة المسجد (٤) ولم يمنعه الملك والرئاسة من العبادة فكان مع ملكه صنفاً في العبادة . (٥)

وتستمر الأم (أسماء) في تربية ومتابعة ابنها (عبد الله) حتى بلغ ما بلغ، وحين اقتربت أيامه من نهايتها كانت توصيه وتقول : يا بني عش كريماً، ومت كريماً، لا يأخذك القوم أسيراً . (٦)

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود وحمله إلى صالح ليحنكه (ح ٢١٤٦)

(٢) الإصابة : ٦ / ٨٦

(٣) سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٦٤

(٤) المصدر السابق : ٣ / ٣٦٧

(٥) المصدر نفسه : ٣ / ٣٦٨

(٦) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٢٩٣

بل تواصل عناية الأم (أسماء) بابنها (عبد الله) حتى غسلته بعدما تقطعت أوصاله وكفنته وصلت عليه، وحين رفض الحجاج طلبها ذلك طلبت ذلك من عبد الملك بن مروان فأذن لها فدفنته في المدينة في دار صفية أم المؤمنين، وقبره قريب من قبر النبي ﷺ . (١)

وهل تعلم المرأة المسلمة أن وراء الفتاة اللبيبة والأم العظيمة (عائشة رضي الله عنها) أمٌّ عظيمة أخرى (أم رومان) حيث كانت توليها من العناية، وتعدها لمستقبل الأيام، فقد أورد ابن سعد عن الواقدي أن رسول الله ﷺ حين توفيت خديجة حزن عليها حزناً شديداً، فبعث الله إليه جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال : يا رسول الله هذه تُذهب بعض حزنك وإن فيها خلفاً من خديجة، ثم ردَّها، فكان رسول الله ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ويقول : يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها، فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها، فأتاهم رسول الله يوما في بعض ما كان يأتيهم، وكان لا يخطئه يوما واحدا أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر، فيجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاء حزينا، فسألها فشكت أمها فذكرت أنها تولع بها، فدمعت عينا رسول الله ودخل على أم رومان فقال: يا أم رومان ألم أوصك بعائشة تحفظيني فيها؟ فقالت: يا رسول الله إنها بلغت الصديق عني وأغضبته علينا. فقال النبي ﷺ : وإن فعلت، قالت أم رومان: لا جرم لا سَؤتها أبدا . (٢)

---

(١) المصدر السابق : ٣ / ٣٧٩

(٢) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٧٨، ٧٩

٢ – الدفاع عن النبي ﷺ :

من الحصافة وعمق الوعي أن تربي الأم أولادها على حب النبي ﷺ والدفاع عنه، فالدفاع عنه دفاع عن الإسلام، ومحبته وإتباعه ﷺ محبة لله تعالى، وفي ترجمة أروى بنت عبد المطلب نقل ابن سعد عن الواقدي الحديث التالي : عن برة بنت أبي تجراة قالت: عرض أبو جهل وعدة من كفار قريش للنبي ﷺ ، فآذوه فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه ضربة شجة، فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب (خاله) حتى خلاه فقيل لأروى : ألا ترين ابنك طليبا قد صير نفسه غرضا دون محمد ؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله، فقالوا: ولقد تبعت محمداً ؟ قالت: نعم .. [١].

قال ابن سعد: وسمعت من غير محمد بن عمر يذكر أن أروى قالت: يومئذ إن طليبا نصر بن خاله، آساه في ذي ذمة وماله. [٢]

هذا نموذج لدفاع المرأة ونصرة الشباب لمحمد ﷺ ، واليوم وحين تزداد الهجمة على المصطفى ﷺ نتذكر هذا النموذج المبكر من الدفاع والنصرة، ونتطلع إلى نماذج معاصرة من النساء تنصر النبي ﷺ في نفسها وتربي أولادها على الدفاع عن خير البرية ﷺ ، وتجعل منهم فداءً لمحمد ﷺ .

---

(١) الطبقات : ٨ / ٤٢، ٤٣ ـــ ابن حجر : الإصابة : ١٢ / ١٠٩ وعنده (إن خير أيامه يوم ينصر ابن خاله)

(٢) المصدر السابق : ٨ / ٤٣

٣ – دوام المتابعة وتثمين الشهادة :

ليس أصعب من التربية، فهي ليس مجرد كلمة تقال، ولا موقف يُتخذ وينتهي الأمر، بل هي صبر ومصابرة، وتوجيه دائم ومتابعة من مثل قوله تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.

وحين تُفلح الأم في تنشئة أولادها على الخير فذلك نجاح، لكن النجاح الأكبر حين يستمر الأولاد (ذكراناً وإناثاً) على الثبات على الحق، ويُتوفون حين تنتهي آجالهم على الخير وتُثمن الأم شهادتهم في سبيل الله – ذلك وإن كان فضلاً من الله وتوفيقاً – فلا شك أن عناية الوالدين وحرصهم سبب من أسباب هذا القدر الإلهي .

ويُذكر للمرأة الداعية – في زمن النبوة – فوق عنايتها بتربية النشء ابتداءً، متابعتهم والسؤال عن أحوالهم حتى النهاية، ذلك موقف يُذكر لأم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة، فقد أتت النبي ﷺ – يوم بدر – فَقَالَتْ : " يَا نَبِيَّ اللَّه أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ قَالَ يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى " (١)

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تتطلع إلى نهاية ابنها (عبد الله بن الزبير) وتقول حين زارها ابنها عبد الله، وكانت وجعة فقال لها: إن في الموت لعافية، قالت : لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل، وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله (انظر: الفتح ٦ / ٢٦ ح ٢٨٠٩)

أموت حتى تأتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك ؛ وإما أن تظفر فتقر عيني، إياك أن تُعرض على خطة فلا توافق، فتقبلها كراهية الموت .[١]

قال عروة : وإنما عنى أخي أن يقتل، فيحزنها ذلك.

وهكذا يكون التجلد والصبر .. بل يكون طموح الأم نحو نهاية ابنها، فهو الصبر والاحتساب حين القتل – على الحق – وهو قرار العين بالنصر والظفر ..

ما أحوج الأمهات إلى هذه الرؤى، وإلى داوم التربية على معالي الأمـــور، فتلك نساءٌ تصنع الأجيال وتعلي همم الرجال، وأين هذا من نساء همهن ملبس الولد ومطعمه، سلاحها البكاء من أدنى نازلة، وربما عاقت ابنها عن الدعوة، أو حرّجته عن الجهاد الحق في سبيل الله إذا توفرت أسبابه وإذا اتضحت راياتـــه، وأمنت فتنته ؟

ثالثاً : مع الآباء والأمهات :

وللمرأة في – زمن النبوة – جهد يذكر في المساهمة مع آبائهن في تحمـــل الدعوة، ومساندة الأب الداعية، وإذا كان يذكر للمرأة المسلمة حـــسن برهـــا بأبيها، فلعل من أبر البر مشاركته في همومه الدعوية إن كان داعيـــة، أو دعـــوتهم والتلطف معهم بالهدايا والصلة إن كانوا غير مسلمين تأليفا ودعوه لهم إلى الإسلام.

وبقراءة السيرة نخلص مع المرأة إلى الصور التالية :

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٩٣

١- مشاركة الأب في الدعوة :

كان بيت أبي بكر نموذجاً للبيت المسلم، يتعاون أفراده على البر، ويشاركون في عمل الخير وأسماء بنت أبي بكر نموذج نسوي لهذا البيت الراقي، فهي تشارك أباها في دعوته وهجرته وموقفها حين الهجرة مشهور في صحاح السنة وكتب السيرة، وهل سميت بذات النطاقين إلا في أحداث الهجرة وهي التي تقول : صنعت في سفرة النبي ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يهاجر فلم أجد لسفرته ولا لسقائهما ما أربطهما، فقلت لأبي : ما أجد إلا نطاقي، قال : شقيه باثنين فاربطي بهما، قال : فلذلك سميت ذات النطاقين .[١]

٢ - صلة الأم ودعوتها :

أقبلت والدة أسماء (قتيلة) من مكة إلى المدينة زائرة لابنتها وهي لم تسلم بعد، فترددت أسماء، فهي أمها ولها حق عليها، ولكن الإسلام باعد بينهما، فبعثت للنبي ﷺ تقول : يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها ؟ قال : نعم صلي أمك . [٢]

---

(١) انظر : الطبقات ٨ / ٢٥٠، وهو في البخاري ٧ / ١٩٣، ١٩٤ في المناقب، باب الهجرة، وفي كتاب الأطعمة، ورواه أحمد : ٦ / ٣٤٦

(٢) البخاري في (الجزية، والأدب، والهبة) ٦ / ٢٠١، ١٠ / ٣٤٧، ٥ / ١٧١، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣)، وابن سعد في الطبقات ٨ / ٢٥٠

وفي أخرى أن أمها قدمت على أسماء بهدايا فلم تقبلها حتى سألت رسول الله ﷺ فنزلت ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [1]

وعند ابن سعد: تفصيل أكثر حيث قال : قدمت قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد أحد بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية بهدايا زبيب وسمن وقرظ فأبت أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله ﷺ فقال: لتدخلها ولتقبل هديتها، قال وأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾. [2]

وهل أسلمت (قتيلة) هذه؟ أوردها المستغفري في الصحابيات وقال تأخر إسلامها، وقال أبو موسى : ليس في شيء من الروايات ذكر إسلامها، وقولها "وهي راغبة" ليست تريد في الإسلام بل في الصلة، ولو كانت مسلمة لما احتاجت أسماء أن تستأذن في صلتها، إلا أن تكون أسلمت بعد ذلك، قال ابن حجر في نهاية ترجمتها — في القسم الأول — قلت : إن كانت عاشت إلى الفتح

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٢) الطبقات ٨ / ٢٥٢

فالظاهر أنها أسلمت [١] وقال النووي : واختلف العلماء في إسلامها والأكثرون على موتها مشركة [٢] .

أقول : ولعل وفادتها على أمها كانت سبباً في إسلامها، وذِكرُ ابن حجر لها في القسم الأول يعزز ذلك، فإن ترجح ذلك كان نموذجاً لصلة المرأة أمها، أو على الأقل نموذجاً لدعوة المرأة لأمها .

أما قصة وفادة أبي سفيان على ابنته أم حبيبة في المدينة حين جاء يؤكد عقد هدنة الحديبية والرسول ﷺ يريد غزو مكة، وأن أم حبيبة منعته أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ لمكانه من الشرك، فقد ذكرها ابن سعد [٣] لكن كأن الذهبي يضعفها حين ساقها بالقول : وقيل أن أم حبيبة ...[٤].

٣ - الدفاع عن الأب الداعية ورعايته :

دفاع الأولاد عن آبائهم وأمهاتهم أمر طبيعي – لمكانة الأبوين وعاطفة الأولاد تجاههما – ولكن الدفاع حيث يتجاوز العاطفة إلى النصرة الشرعية، وإبطال كيد المجرمين والدعاء عليهم فتلك التي تُعد مؤشراً للدعوة وميداناً من ميادينها، فكيف إذا كان العدو من أكابر المجرمين، والمدافع (أحد الضعيفين) المرأة ؟

---

(١) الإصابة : ١٣ / ٩٤

(٢) النووي : شرح مسلم ٧ / ٨٩

(٣) الطبقات : ٨ / ٩٩، ١٠٠

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٢٢٢

لقد قامت فاطمة بنت محمد ﷺ و ﵂ بدور المدافع الشهم والمنتصر الشجاع لأبيها ونبيها محمد ﷺ حين أراد به المشركون سوءً، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : بينَا رَسُولُ اللَّه ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جاء عقبة بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام فَأَخَذَته مِنْ ظَهْرِه وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْمَلَا مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ [١] وفي صحيح مسلم (فانبعث أشقى القوم فأخذه – سلى الجزور – فوضعه بين كتفي النبي ﷺ حين سجد فاستضحك القوم حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي -جويرية – فطرحته عنه ..) [٢]

وإذا كان هذا صنيع فاطمة ﵂ وهي شابة – جويرية – فلقد كان لها مع أبيها رسول الله ﷺ صنيع آخر – وهي كبيرة – تمثلت في مداواتها ورعايتها لجرح أبيها في أحد حين كُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة ﵂ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب ﵁ يسكب

(١) – البخاري : كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة ح ٣٦٤١

(٢) – صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣ / ١٤١٨ ح ١٧٩٤

عليها الماء بالمحن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم . [١]

وإذا كان من حق الدعاة الصادقين على عموم المسلمين الدفاع عن أعراضهم حين تُنتهك بغير حق، والانتصار لهم حين يظلمون دون سبب، فإن نصرة القريب لقريبه أولى وأحرى، ذلك ما تعلمنا إياه نصوص السنة والسيرة وتبرزه للمرأة، وتدعوا الحاجة إليه كلما تطاول المجرمون وأُوذي الخيرون .

رابعاً: مع الأخوة:

١ – الدعوة للإسلام:

يعيش الإنسان غالباً مع أخوته وأخواته، وتأثر وتأثير بعضهم ببعض أمر طبيعي، والمتأمل في حياة المرأة في زمن النبوة يرى أنها كانت ذات تأثير إيجابي على إخوانها، وأول ما يتبادر إلى الذهن قصة فاطمة بن الخطاب مع أخيها عمر – في قصة إسلامه – دخل عليها وزوجها (سعيد بن زيد) وعندهم (خباب بن الأرت) رضي الله عنهم، فلما سمعوا صوت عمر تغيب خباب في مخدع لهم، وغيبت فاطمة صحيفة كانت معها فيها قرآن، ثم وقع من عمر الاعتداء على أخته، حتى صارحته ورفضت إعطاءه صحيفة القرآن، وتحدته، فلما رأى عمر ذلك تأثر .. فكانت بدايته للدخول في الإسلام [٢] والقصة وإن أُعلت في إسنادها [١] إلا أن ابن عبد البر قال: خبرها (فاطمة) في إسلام عمر خبر عجيب [٢].

---

(١) – صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣ / ١٤١٦ ح ١٧٩٠

(٢) انظر القصة بطولها ونصها وكما رواها ابن إسحق في السيرة لابن هشام : ١ / ٣٦٨

وزينب بن حجش أم المؤمنين رضي الله عنها حين توفيت رؤي أخوها (أبو أحمد بن جحش) يحمل سريرها ويبكي وهو مكفوف، فقال له عمر : يا أبا أحمد تنح عن السرير لا يعنك الناس، وازدحموا على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن هذا يبرد حر ما أجد [٣].

وإذا كان وارداً أن قصد أخيها بالخير زواجها بالنبي ﷺ وكونها واحدة من أمهات المؤمنين فيرد كذلك أنها كانت ذا أثر عليهم في الدعوة والتعليم .

ولا ينسى في مقام جهود المرأة مع إخوتها موقف الشجاعة والصدق الذي وقفته (سفانة بنت حاتم الطائي) حين أصابتها خيل رسول الله ﷺ ، فقدمت بها على رسول الله ﷺ فجعلت في في حَظِيرَة بِبَاب الْمَسْجد كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرّ بِهَا رَسُولُ اللّه ﷺ فَقَامَتْ إلَيْه وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّه هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيّ مَنّ اللّهُ عَلَيْك . قَالَ وَمَنْ وَافِدُك ؟ قَالَتْ عَدِيّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ الْفَارّ مِنْ اللّه وَرَسُوله ؟ قَالَتْ ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّه ﷺ وَتَرَكَنِي، حَتّى إذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ مَرّ بِي، فَقُلْت لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ . قَالَتْ حَتّى إذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرّ بِي وَقَدْ يَئِسْت مِنْهُ فَأَشَارَ إلَيّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفه أَنْ قَوْمِي فَكَلّميه قَالَتْ فَقُمْت إلَيْه فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللّه هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيّ مَنّ اللّهُ عَلَيْك ؛ فَقَالَ ﷺ قَدْ فَعَلْتُ فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِك مَنْ يَكُونُ لَك ثِقَةً حَتّى

(١) انظر: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق د – سليمان العودة ص ١٨٩ هامش (١)

(٢) الاستيعاب : ٤ / ١٨٩٢

(٣) الطبقات : ٨ / ١١٣

يُبَلِّغُك إِلَى بِلَادك، ثُمّ آذنيني . فَسَأَلْت عَنْ الرّجُلِ الّذي أَشَارَ إلَـيّ أَنْ أُكَلّمَـهُ فَقيلَ عَلِيّ بْنُ أَبي طَالب رِضْوَانُ اللّه عَلَيْه وَأَقَمْت حَتّى قَدمَ رَكْبٌ مِنْ بَلـيّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ وَإِنّمَا أُرِيدُ أَنْ آتيَ أَخي بالشّام . قَالَتْ فَجئْت رَسُولَ اللّه ﷺ فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللّه قَدْ قَدمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمي، لي فيهمْ ثقَةٌ وَبَلَـاغٌ . قَالَـتْ فَكَسَاني رَسُولُ اللّه ﷺ وَحَمَلَني، وَأَعْطَاني نَفَقَةً فَخَرَجْت مَعَهُمْ حَتّى قَدمْت الشّامَ قَالَ عَديّ : فَوَاَللّه إنّي لَقَاعدٌ في أَهْلي، إذْ نَظَرْت إلَى ظَعينَة تَصُوبُ إلَيّ تُؤْمنَا، قَالَ فَقُلْت ابْنَةُ حَاتمٍ قَالَ فَإذَا هيَ هيَ فَلَمّا وَقَفَتْ عَلَيّ انْسَحَلَتْ تَقُول : الْقَاطعُ الظّالمُ احْتَمَلْتَ بأَهْلك وَوَلَدك، وَتَرَكْت بَقيّةَ وَالدك عَوْرَتَك، قَالَ قُلْت : أَيْ أُخَيّةُ لَا تَقُولي إلّا خَيْرًا، فَوَاَللّه مَا لي مِنْ عُذْرٍ لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَـرْت . قَالَ ثُمّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عنْدي، فَقُلْت لَهَا : وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازمَةً مَاذَا تَرَيْنَ فـي أَمْر هَذَا الرّجُلِ ؟ قَالَتْ أَرَى وَاَللّه أَنْ تَلْحَقَ به سَريعًا، فَإنْ يَكُنْ الرّجُـلُ نَبيّـا فَللسّابق إلَيْه فَضْلُهُ وَإنْ يَكُنْ مَلكًا فَلَنْ تَذلّ في عزّ الْيَمَن، وَأَنْتَ أَنْـتَ . قَـالَ قُلْت : وَاَللّه إنّ هَذَا الرّأْيُ، قَالَ : فَخَرَجْت حَتّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُول اللّـه ﷺ الْمَدينَةَ، فَدَخَلْت عَلَيْه وَهُوَ في مَسْجده فَسَلّمْت عَلَيْه فَقَالَ مَنْ الرّجُلُ ؟ فَقُلْت : عَديّ بْنُ حَاتمٍ ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللّه ﷺ فَانْطَلَقَ بي إلَى بَيْته فَوَاَللّه إنّهُ لَعَامـدٌ بي إلَيْه إذْ لَقيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعيفَةٌ كَبيرَةٌ فَاسْتَرْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لَهَا طَويلًـا تُكَلّمُـهُ فـي حَاجَتهَا، قَالَ قُلْت في نَفْسي : وَاَللّه مَا هَذَا بمَلك قَالَ ثُمّ مَضَى بي رَسُولُ اللّه ﷺ حَتّى إذَا دَخَلَ بي بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوّةٍ ليفًا، فَقَـذَفَهَا إلَـيّ فَقَالَ اجْلسْ عَلَى هَذه قَالَ قُلْت : بَلْ أَنْتَ فَاجْلسْ عَلَيْهَا، فَقَـالَ بَـلْ أَنْـتَ فَجَلَسْت عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللّه ﷺ بالْأَرْضِ قَالَ قُلْت في نَفْسي: وَاَللّه مَا

هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ثُمّ قَالَ إيهِ يَا عَدِيّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًا ؟ قَالَ قُلْت: بَلَى قَالَ: أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِك بِالْمِرْبَاعِ؟ قَالَ قُلْت : بَلَى، قَالَ فَإِنّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلّ لَك فِي دِينِك ؛ قَالَ قُلْت : أَجَلْ وَاَللّهِ وَقَالَ وَعَرَفْت أَنّهُ نَبِيّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ ثُمّ قَالَ لَعَلّك يَا عَدِيّ إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ فَوَاَللّهِ لَيُوشِكَنّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتّى لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ وَلَعَلّك إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوّهِمْ وَقِلّةِ عَدَدِهِمْ فَوَاَللّهِ لَيُوشِكَنّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنْ الْقَادِسِيّةِ عَلَى بَعِيرِهَا (حَتّى) تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ وَلَعَلّك إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنّك تَرَى أَنّ الْمُلْكَ وَالسّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ وَأَيْمُ اللّهِ لَيُوشِكَنّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ قَالَ فَأَسْلَمْت . (١)

وهكذا كانت (سفانة) سبباً في قدوم أخيها (عدي) على النبي ﷺ وإسلامه .

٢- الصبر على المصاب :

تُحمد المرأة حين تصبر على فقد أقرب الناس إليها، وحين تحتسب هذا الصبر عند الله فهي تدعوا النساء بأسلوب عملي إلى الصبر والاحتساب في فقد الأحباب، وصفية بنت عبد المطلب - رضي الله عنها - عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة رضي الله عنه (أسد الله وأسد رسوله) حين بلغها الخبر عن استشهاد أخيها

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٤ / ٢١١، ابن حجر : (الإصابة ١٢ / ٣٠٦) وساق ابن كثير القصة ثم قال: هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جداً عزيز المخرج (البداية والنهاية ٥ / ٦٧، ٦٨).

حمزة (في أحد) ذهبت لتنظر إليه، فلقيها الزبير (ابنها) فقال : أي أمة إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت : ولِمَ ؟ ولقد بلغني أنه مُثِّل بأخي وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله، فجاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال : خل سبيلها، فأتت إليه واستغفرت له، ذكره ابن إسحاق [١].

وحمنة بن جحش رضي الله عنها (زوج مصعب بن عمير) رضي الله عنه وأخت (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه حين قامت النساء – منصرفه ﷺ من أحد – يسألن عن أهليهن، فلم يخبرن حتى أتين النبي ﷺ فلا تسأله امرأة إلا أخبرها، فجاءت (حمنة) فقال : يا حمنة احتسبي أخاك (عبد الله بن جحش) قالت : إن لله وإن إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال : يا حمنة احتسبي خالك (حمزة بن عبد المطلب) فقالت : إن لله وإن إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال يا حمنة : احتسبي زوجك (مصعب بن عمير) فقالت : يا حرباه! فقال النبي ﷺ : إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شيء. [٢]

وحين قال لها النبي ﷺ : كيف قلت على مصعب ما لم تقولي على غيره؟ قالت: يا رسول الله ذكرت يتم ولده [٣] .

---

(١) من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن الزهري، وعاصم بن عمر (انظر : ابن حجر : الإصابة / ١٣ / ٢٠)

(٢) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٢٤١

(٣) المصدر السابق : ٨ / ٢٤١

خامساً : مع بنات جنسها :

أقرب شيء للمرأة هي المرأة، وربما تأثرت المرأة بمثيلتها أكثر مما تتأثر بغيرها، وحين تضعف النساء في دعوة النساء، يقوم الرجال بالنيابة عنها، لكن ليس الأصيل كالبديل ؟ والناظر في أحداث السيرة يرى أثراً للمرأة على المرأة يمكن التمثيل له بما يلي :

١ – الدعوة للإسلام :

مارست المرأة الدعوة لبنات جنسها في السر والعلن، وأم شريك من نماذج الدعوة السرية للمرأة، وهي ظروف صعبة تجاوزتها المرأة، ومارست فيها الدعوة وتحملت تبعاتها .

أخرج أبو نعيم، وأبو موسى - من طرق مختلفة – عن ابن عباس قال : وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي في مكة وهي إحدى نساء قريش [١] ثم إحدى بني عامر بن لؤي وكانت تحت أبي العكر الدوسي فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم، قالت: فحملوني على بعير ... إلخ القصة . [٢]

---

(١) اختلف في نسبتها إلى قريش، أو إلى بني عامر، أو إلى الأنصار (انظر : ابن حجر - الإصابة : ١٣ / ٢٣٦ وتهذيب التهذيب : ١٢ / ٤٧٢

(٢) انظر : ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٣٥، ٢٣٦

وإذا أُعجب المرء من ممارسة هذه المرأة للدعوة سراً بين الناس، فأعجب من ذلك قصتها في الثبات على دينها رغم الأذى والتضييق عليها ممن حملوها – كما سيأتي بيانه – [١].

وكما دعت المرأة سراً فقد دعت قومها للإسلام علناً – رغم قلة علمها وحداثة عهدها بالإسلام وفي قصة المرأة – صاحبة المزادتين – نموذج للدعوة وعبرة للمرأة، والقصة أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عِمْرَانَ بن حصين قَالَ : كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا فَمَا أَيْقَظَنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ فَنَسِيَ عَوْفٌ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ وَكَانَ رَجُلًا جَلِيدًا فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ قَالَ لَا ضَيْرَ أَوْ لَا يَضِيرُ ارْتَحِلُوا فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوَضُوءِ فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ الْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ نَسِيَهُ عَوْفٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ

(١) سنأتي على بقية القصة في ثبات المرأة على دينها، وإسلام من أذاها في أساليب دعوة المرأة

سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا فَقَالَا لَهَا أَيْنَ الْمَاءُ قَالَتْ عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ وَنَفَرُنَا خُلُوفًا قَالَا لَهَا انْطَلِقِي إِذًا قَالَتْ إِلَى أَيْنَ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ قَالَا هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ فَانْطَلِقِي فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ الْعَزَالِيَ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخِرُ ذَاكَ أَنْ أَعْطَى الَّذِي أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ قَالَ اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اجْمَعُوا لَهَا فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ قَالُوا مَا حَبَسَكِ يَا فُلَانَةُ قَالَتْ الْعَجَبُ لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ وَقَالَتْ بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدَعُونَكُمْ عَمْدًا فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ [1].

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب ووضوء المسلم ح ٣٤٤ – وانظر الفتح ١ / ٤٤٨ لتحديد هذه السفرة، ومسلم

وفي رواية : فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا [١] .

ويلفت نظر القارئ في سير النساء في زمن النبوة – في مجال دعوة النساء – أثر (أم حبيبة) رضي الله عنها حين كانت بأرض الحبشة -رغم مصابها – على إحدى خادمات النجاشي وتسمى (أبرهة) فحين جاءها الخبر برغبة رسول الله ﷺ بالزواج بها – وكانت أبرهة – هي رسولة النجاشي بإبلاغها – فأعطتها (أم حبيبة) سوارين من فضة، وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرها، حتى إذا وصل مهرها من النبي ﷺ أرسلت إلى (أبرهة) شيئاً منه واعتذرت إليها بالقول : إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالاً فخذيها، فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حقاً فيه كل ما كانت أعطتها (أم حبيبة) فردته عليها وقالت : عزم علي الملك ألا أرزأك شيئاً وأنا الذي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد ﷺ وأسلمت لله [٢] .

وإذا كان محتملاً أن يكون إسلام جارية (أبرهة) عن طريق النجاشي، فالاحتمال الآخر أن يكون عن طريق (أم حبيبة) فلا شك أن حسن المعاملة وإعطاء الهدية، والتلطف في القول والاعتذار بأدب عن من قدم الجميل، كل هذه مفردات مهمة في الدعوة إلى الله وربما كان لها من الأثر أعظم من موعظة عابرة أو كلمة خاطفة .

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام – ح ٣٥٧١ – وانظر: الفتح ٦ / ٥٨٠

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٩٧، ٩٨

فهل تدعوا المرأة المعاصرة بسلوكياتها مثل أو أعظم مما تدعوا بكلامها .. لا سيما في زمن شاع فيه الخداع والكذب، والتلون والنفاق، وعَزَّ الصدق، والقدوة والنموذج الصادق والمعبر عن الإسلام – إلا من رحم ربك –

٢ – تعليمهن أحكام الإسلام :

العلم قبل القول والعمل ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [١] .

وحين تقوم المرأة المسلمة بتعليم النساء الإسلام وأحكامه فتلك درجة عالية في الدعوة إلى دين الله وتعليم أحكام الشريعة – ليعبد الناس ربهم على بصيرة –

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى أعظم علمٍ في العلم وتعليمه، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة [٢] وقال الزهري : لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل [٣] وقال الذهبي : أفقه نساء الأمة على الإطلاق [٤] وقال : ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها [٥] وبناءً على ما سبق قال علي رضي الله عنه : لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة [٦] .

---

(١) سورة محمد : الآية ١٩ .

(٢) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨٨٣

(٣) الحاكم : المستدرك ٤ / ١١، وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٣)

(٤) سير أعلام النبلاء : ٢ / ١٣٥

(٥) المصدر السابق ٢ / ١٤٠

(٦) الكتاني : التراتيب الإدارية ٢ / ٤٣٤

إنها مفخرة النساء في الإسلام، وهذه العالمة الجليلة أفاضت من علمها على الناس عامة وكان للمرأة من ذلك نصيب وافر، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل قال : خذي فرصةٍ من مسك فتطهري بها، قالت : كيف أتطهر ؟ قال : تطهري بها، قالت : كيف ؟ قال : سبحان الله تطهري، (تقول عائشة) فاجتذبتها إلي فقلت : تتبعي بها أثر الدم [١] وفي رواية أخرى : فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢] .

قال ابن حجر في شرحه للحديث : وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك وتولت تعليمها وفيه : الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل . [٣]

ومن تعليم أحكام الحيض إلى تعليم آداب الحجاب :

أخرج ابن سعد بسنده عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه قالت : رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته عائشة عليها وقالت : أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور ؟ ثم دعت بخمار فكستها[٤] . ويطول بنا المقام لو ذهبنا نتتبع تعليم عائشة للنساء ودعوتهن للخير، بل وتعليمها للصحابة ويكفيها شهادة أبي موسى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحيض ح ٣١٤

(٢) المصدر نفسه ح ٣١٥

(٣) فتح الباري : ١ / ٤٩٦

(٤) الطبقات الكبرى : ٨ / ٧٢

رضي الله عنه : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها فيه علماً[١] .

و لم يكن الأمر قسراً على عائشة في تعليم النساء، فهذه (الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية) من المهاجرات الأول، ومن عقلاء النساء وأفاضلهن، كانت ترقي في الجاهلية فلما أسلمت وهاجرت عرضت على النبي ﷺ رقيتها – وكانت ترقي من النملة – فقال ارقي بها وعلميها (حفصة) [٢] .

كما أن (أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل) كانت قد قرأت القرآن واستأذنت النبي ﷺ في أن تتخذ في دارها مؤذناً، فأذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها وكانت تقرأ القرآن ويسمع الناس قراءتها، حتى جاء عمر رضي الله عنه ذات ليلة فلم يسمع قراءتها فقال (والله ما سمعت قراءة خالتي البارحة) فدخل الدار فلم ير شيئاً، ثم دخل البيت فإذا هي مقتولة وملفوفة في قطيفة، قتلها غلام وجارية لها وصدقت فيها نبوءة النبي ﷺ (أن الله سيرزقك الشهادة) وكانت تسمى الشهيدة [٣].

٢ - صبرها على أذاهن :

قد تجد المرأة ما تؤذي بها صاحبتها، فيدعوها لغو الحديث أو مشاركة الآخرين لغوهم أو الغيرة، أو الشماتة، أو غير ذلك من مشاعر لا تعصم المرأة

---

(١) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٤٠

(٢) رواه ابن منده كما نقل ابن حجر في الإصابة : ١٣ / ٥

(٣) الاستيعاب ٤ / ١٩٦٥، الإصابة ١٣ / ٣٠٤

من الوقوع فيها، ولو عاشت في زمن النبوة، وهذا حيث وقع وَقَع معه صبر المرأة على ذلك وتجاوزها تلك المحنة .. وأعظم ما يُذكر في ذلك (الإفك) التي رُميت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم يسلم من الوقوع فيها بعض النساء المسلمات، ففي صحيح البخاري أن (حمنة بنت جحش) رضي الله عنها كان ممن وقع في الإفك، بل جاءت عبارة الصحيح (فهلكت فيمن هلك) [١] .

لقد كان وقع هذه المحنة على عائشة شديداً .. بكت حتى لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم لكنها صبرت وتجلدت، وكانت تتسلى بصبر الأنبياء وتقول : والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)[٢].

حتى نزلت براءتها من السماء في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وكذلك ينبغي أن تعتصم المسلمة بالصبر واليقين حين تُتهم في شيء من دينها أو عرضها - وهي منه براء - .

وحين نتجاوز محنة عائشة رضي الله عنها، فثمة محنة أخرى أصابت (درة بنت أبي لهب) رضي الله عنها من بنات جنسها، حتى غضب لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتصر لها على الملأ، عن ابن عمر وأبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قَالُوا: قَدِمَتْ دُرَّةُ بنتُ أَبِي لَهَبٍ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً، فَنَزَلَتْ دَارَ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى الزُّرَقِيِّ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَالِسِينَ إِلَيْهَا مِنْ بني زُرَيْقٍ: أَنْت بنتُ أَبِي لَهَبٍ الَّذي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ" مَا يُغْنِي عَنْكِ مُهَاجَرُكِ؟،

---

(١) صحيح البخاري : (كتاب المغازي - باب حديث الإفك ح ٤١٤١)

(٢) المصدر السابق (البخاري : ح ٤١٤١)

فَأَتَتْ دُرَّةُ النَّبِيَّ ﷺ: فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا فَسَكَّنَها، وَقَالَ:اجْلسي ثُمَّ صَلَّى بالنَّاسِ الظُّهْرَ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ:أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُوذي فِي أَهْلِي، فَوَاللَّه إِنَّ شَفَاعَتِي لَتَنَالُ حَيَّ حَا *، وَحُكْمَ وصَدَاءَ، وسَلْهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَة.(١) وفي رواية أخرى أن (درة) أَتَت النَّبِيَّ ﷺ بالْمَدينَة، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي أَبَوَيْهَا فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا وَلَدَ الْكُفَّارُ غَيْرِي؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: وَمَا ذَاكِ؟ قَالَتْ: قَدْ آذَانِي أَهْلُ الْمَدينَة فِي أَبَوَيَّ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ : إِذَا صَلَّيْت الظُّهْرَ فَصَلِّي حَيْثُ أَرَى، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِه، فَقَالَ:أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَكُمْ نَسَبٌ وَلَيْسَ لِي نَسَبٌ؟ فَوَثَبَ عُمَرُ، فَقَالَ: غَضِبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَغْضَبَكَ، فَقَالَ:هَذِهِ بنتُ عَمِّي فَلا يَقُلْ لَهَا أَحَدٌ إِلا خَيْرًا. (٢)

هذه المواقف ومثيلاتها تُنبه على أن المرأة قد تتعرض في حياتها من بلاء الناس وفتنتهم وآذاهم وينبغي أن يكون الصبر زادها، والثبات على الحق منهجها، ولا ضير أن تبدي شكواها لمن تثق به، وأن تطلب النصرة ممن تتوقع قدرته على نصرتها، والمحذور أن تقع ضحية لهذه الاستفزازات، وأن تستسلم لهذه الإشاعات، فتجعل فتنة الناس كعذاب الله ؟

---

(١) رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن ابن بشير الدمشقي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد : ٩ / ٢٥٧- ٢٥٨)

* هكذا أضبطت في المجمع ،وحين رجعت للمعجم الكبير للدار قطني وجدتها كذلك، وفيه (حا وحكم قبيلتان) انظر: المعجم الكبير ٢٤ /٤٣٤ ط إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف بالعراق.

(٢) رواه الطبراني، وابن أبي حسين هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٢٥٨)

من أساليب المرأة في الدعوة

يستفاد من العرض السابق لميادين دعوة المرأة، أنها مارست أكثر من أسلوب في الدعوة وتحدثت إلى أكثر من طيف من أطياف المجتمع، وحتى تكتمل الصورة نقف على أساليب وألوان وممارسات في وسائل الدعوة قامت بها المرأة في زمن النبوة، وخليق بالمرأة المعاصرة أن تستفيد منها، وتجدد ما تدعوا الحاجة، ويفرضه الزمان والمكان عليها – دون تعدٍ أو مجاوزة للمشروع – .

ومن هذه الأساليب الدعوية في زمن النبوة :

١) الثبات على الحق في زمن الشدائد :

في حال الرخاء يكثر الدعاة ويشيع الاستمساك بالحق، ولكن الثابتين في الشدائد هم الذين يستحقون الإشادة ويؤثرون أكثر في الناس، والأفعال تسبق الأقوال أحياناً في التأثير، وقد تمارس المرأة الدعوة بسلوكياتها مثل أو أكثر من ممارستها الدعوة بأقوالها، ذلك أن الناس – في القديم والحديث – تعجبهم القدوات، ويلفت نظرهم الثبات على المبدأ، ويؤثر فيهم الإصرار على المعتقد الصحيح رغم البلايا والمحن .

ودونكم هذا النموذج الذي ذكرته كتب الطبقات والتراجم، وذكرت معه آثاره الجميلة فأم شريك (التي سبق الحديث عن دعوتها السرية بين نساء أهل مكة) أضطر أهل مكة إلى ترحيلها من مكة حتى لا تفسد عليهم نساءهم – كما زعموا – .

تقول أم شريك : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، قالت : فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه .. فنزلوا منزلاً وكانوا إذا نزلوا أوثقوني في الشمس واستظلوا، وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا فبينما أنا كذلك إذا أنا بأثر شيء عليَّ برد منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء فشربت منه قليلاً، ثم نُزع مني، ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلاً ثم رُفع ثم عاد أيضاً ثم رُفع، فصنع ذلك مراراً حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي : انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ فقلت : لا والله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، وأسلموا بعد ذلك [١] .

ولا يُنسى في مقام ثبات المرأة على دينها في أزمان الشدائد والمحن مواقف عدد من النساء قديمات الإسلام من أمثال (سمية بنت خياط) أم (عمار بن ياسر) فقد كانت ضمن السبعة الذين أظهروا الإسلام كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : (كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد) [٢].

---

(١) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٣٥، ٢٣٦ وقال معلقاً على إسنادها : مرسل وفيه الواقدي، ثم ساق قصة أخرى لها مثيلة مع يهودي .

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ١ / ٥٣

وعن تعذيبها وثباتها قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وبأمه، وكانوا أهل بيت إسلام – إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم الرسول ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، فأما أمه سمية فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام [١] .

يكفي المرأة ثباتاً أن تموت وهي تُعذب في ذات الله، ومهما كانت شدة المعذبين فهي رسالة تحفر في قلوبهم، على أن الأمر تجاوز (سمية) إلى مجموعة من النساء تفضَّل أبو بكر رضي الله عنه فأنقذهن من العذاب بالعتق، ومن هؤلاء زنيرة جارية بني المؤمل الهندية وابنتها، وأم عبيس [٢] (وأم عبيس) قيل عنها : أسلمت أول الإسلام، وكان ممن استضعفها المشركون يعذبونها فاشتراها أبو بكر فأعتقها [٣] وبالجملة فلا يعرف عن المرأة ردة بعد إيمان، وفي البخاري قال الزهري : وما نعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها [٤].

---

(١) ابن هشام في السيرة ١ / ٣٩٥، ورواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٨٣ وبلفظ (أبشروا) ٣ / ٣٨٨، وقال : صحيح على شرط مسلم، وهو في صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٣٠، ورواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد : ٩ / ٢٩٣

(٢) انظر : ابن هشام : السيرة ١ / ٣٩٣

(٣) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٥١

(٤) صحيح البخاري : كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد – ح ٢٧٣٣، وانظر تعليق ابن حجر على ردة أم الحكم بنت أبي سفيان (الفتح ٥ / ٣٥٢) وقال ابن عبد البر : أن أم الحكم من مسلمة الفتح، وحين نزل (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) طلقها زوجها عياض بن غنم (الاستيعاب ١٣ / ٢٠٨ هامش الإصابة)

وهل يستغرب أن يكون ثبات المرأة على الأذى سبباً في إسلام المعذبين ؟ وقد سبق شيء من ذلك في قصة فاطمة مع أخيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

٢) البلاغ المذكِّر :

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ هذه وظيفة الرسل وهي وظيفة أتباعهم إلى يوم الدين، والمرأة في زمن النبوة كانت واسطة بلاغ بين النبي ﷺ وأخواتها من النساء .. تبلغه بحوائجهن، وتنقل منه إليهن أحكام الإسلام وشرائعه، وهذه (أسماء بنت يزيد بن السكن) كان يقال لها (خطيبة النساء) [١] .

أتت (أسماء) النبي ﷺ فقالت : إني رسول من ورائي إليك من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات محذرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وإن الرجال فضلوا علينا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه " . فقالوا: بلى والله يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : "انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال " . فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ [٢].

---

(١) ابن حجر : الإصابة ٧ / ٤٩٨ تحقيق (البجاوي)

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ / ١٧٨٧، ١٧٧٨

أليست مهمتها تلك في البلاغ والتذكير، وتوسطها في الحديث بين رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين وسيلة مهمة في الدعوة، وكم اختصرت هذه المرأة على عدد من النساء المجيء لرسول الله ﷺ وبيان هذا الأمر للنساء ؟

إن المرأة قد ينقصها العلم الذي تدعوا به .. وقد تغيب عنها آلية مؤثرة من آليات الدعوة، لكن لن يعجزها أن تنقل كلام أهل العلم، وتجربة أهل الدعوة فتذكر بهما من نسي أو جهل – ورب مبلغ أوعى من سامع –

وفرق بين أن تنشغل المرأة بهذا الخير، وبين أن تشغل نفسها بكلام لا ينفع بل قد يضر ؟ ونموذج آخر في البلاغ، وتعليم أحكام الإسلام لمن جهلها في قصة لا تخلوا من طرفه، فهذه (أم رافع) سلمى خادم رسول الله ﷺ وزوجة خادمه (أبي رافع) جاءت يوماً تشكوا أبا رافع وقد ضربها، فقال لأبي رافع : ما لك ولها ؟ قال: تؤذيني يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ : بما آذيته يا سلمى ؟ قالت : يا رسول الله ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقلت يا أبا رافع : إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام يضربني فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول : يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير [1].

وأم رافع هذه كما بلغت زوجها حكم الإسلام في الطهارة، فقد بشرت زينب بنت جحش رضي الله عنها أن الله زوجها رسول الله ﷺ ، فقد قال عليه

(١) رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح، إلا أن فيه ابن إسحاق وقد قال حدثني (مجمع الزوائد : ١ / ٢٤٣)

الصلاة والسلام : من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله زوجنيها، فخرجت سلمى تشتد فحدثتها بذلك فأعطتها أرضاً [١].

وصميته (امرأة من بني ليث بن بكر) بلغت عن النبي ﷺ قوله (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بالمدينة كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة) [٢] .

٣) النفقة في سبيل الدعوة :

يستطيع المرء أن يدعوا بماله كما يستطيع أن يدعوا بلسانه، وكما الجهاد بالنفس فالجهاد بالمال مقدم عليه في القرآن، ومن جهز غازياً فقد غزى، وكذلك تتوارد نصوص الشرع على تعظيم النفقة في سبيل الله – وليس هذا مجال الحديث عنها – ويكفي أن نورد هنا نماذج من نفقة المرأة المسلمة كوسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله، وحيث سبق موقف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حين شقت نطاقها – و لم يكن معها غيره – لتجهيز رسول الله ﷺ وأبيها في –حدث الهجرة – فإن أسماء هي التي هان عليها (المال) الذي كان والدها (أبو بكر) يملكه، ثم أنفقه في سبيل الله، إذا هاجر لم يترك لهم شيْاً في المدينة، الأمر الذي أحوج الشيخ الكبير (أبو قحافة) أن يسأل عن مال أبي بكر، ولندع أسماء تحدثنا بنفسها عن القصة وفقهها حيث تقول : لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ

---

(١) ابن حجر : الإصابة ٢ /٣١٤ وهو في المسند – كما قال ابن حجر –

(٢) ابن أبي عاصم : الآحاد والمثاني ٦ / ١٧، ٣٢، ١٥٤، والنسائي في السنن الكبرى : ٢ / ٤٨٨ ح ٤٢٨٥، وابن حبان في صحيحه : الإحسان ١٦ / ٢١ ح ٣٧٣٢، وهو حديث صحيح انظر : د – صالح حامد الرفاعي : الأحاديث الصحيحة في فضائل المدينة – ط الأولى ١٤٢٧هـ –

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةُ آلَافٍ فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ . قَالَتْ فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَقَالَ وَاَللّٰهِ إِنِّي لَا أَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ . قَالَتْ قُلْت : كَلَّا يَا أَبَتِ إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا . قَالَتْ فَأَخَذْت أَحْجَارًا فَوَضَعْتهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْت عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْت بِيَدِهِ فَقُلْت : يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَك عَلَى هَذَا الْمَالِ . قَالَتْ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا بَأْسَ إذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ . وَلَا وَاَللّٰهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا وَلَكِنِّي أَرَدْت أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ [١].

وحين وعظ رسول الله ﷺ النساء وحثهن على النفقة — في صلاة العيد — استجابت المرأة وجعلت النساء يتصدقن من حليهن، ويلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن [٢].

وحين تُذكر نفقات النساء وصدقاتهن فلا بد أن تذكر خديجة رضي الله عنها (وقد سبق البيان) و(زينب بن جحش) رضي الله عنها صاحبة اليد الطولى في الصدقة، وهي التي قال عنها النبي ﷺ (أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً) [٣] قالت عائشة

---

(١) ابن هشام : السيرة ٢ / ١٥٢، وسنده متصل، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : / ٥، ٦ وقال : صحيح على شرط مسلم ورواه أحمد، قال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق فقد صرح بالتحديث (مجمع الزوائد : ٦ / ٥٩)

(٢) اخرجه مسلم ٢ / ٦٠٣، ٦٠٤ ح ٨٨٥، والبخاري في التفسير : (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك - ح ٤٨٩٥

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة — باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها (٤ / ١٩٠٧ - ح ٢٤٥٢ .

رضي الله عنها : وكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، وكانت (زينب) امرأة قصيرة، فلما توفيت عرفنا حينئذ أنه إنما أراد بطول اليد الصدقة [١]" قالت وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله، وقد قيل عنها : إنها لم تترك درهماً ولا ديناراً، كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت مأوى المساكين . [٢]

ولم يتوقف إنفاق المرأة – في سبيل الله – في حال السلم، بل وأنفقت – في سبيل الله ونشر دينه – في حال الحرب، وكان لها يوم العسرة سهم من الإنفاق، فعن أم سنان الأسلمية رضي الله عنها قالت : لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة فيه مسك ومعاضد وخلاخل، وأقرطة، وخواتيم، وقد مُليء مما بعث من النساء يُعن به المسلمين في جهازهم والناس في عسرة شديدة [٣].

تعدد وتنوع صدقات المرأة :

ويلفت نظر المتأمل في نصوص السنة والسيرة في صدقة المرأة أن صدقتها تتجاوز الدرهم والدينار إلى حسن الملاطفة ومداراة أقرب الناس إليها وتقديم الخدمة له، إذ ليست الصدقة في حس المرأة -في زمن النبوة – قصراً على الأمور المادية بل وعلى الأمور المعنوية .

---

(١) ابن سعد : الطبقات : (٨ / ١٠٨ – ١١٤)

(٢) المصدر السابق : ٨ / ١٠٨، ١١٤

(٣) انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر ١ / ٤١٥ تحقيق صلاح الدين المنجد (نقلاً عن أحمد يعقوب العطاوي : المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف ص ١٢٣مكتبة الرشد / الرياض ١٤٢٠ هـ)

وأمامنا نص في صحيح مسلم يجمع هذين اللونين من الصدقة، في قصة أَسْمَاءَ بِنْت أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِه قَالَتْ فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيه مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِه وَأَعْلِفُهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ وَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ قَالَتْ وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ ..إلخ القصة [١].

قال النووي معلقاً على خدمات أسماء هذه : هَذَا كُلّه مِنْ الْمَعْرُوف والمروآت الَّتِي أَطْبَقَ النَّاس عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّ الْمَرْأَة تَخْدُم زَوْجهَا بِهَذِهِ الْأُمُور الْمَذْكُورَة وَنَحْوهَا مِنْ الْخَبْز وَالطَّبْخ وَغَسْل الثِّيَاب وَغَيْر ذَلِكَ، وَكُلّه تَبَرُّع مِنْ الْمَرْأَة وَإِحْسَان مِنْهَا إِلَى زَوْجهَا وَحُسْن مُعَاشَرَة وَفِعْل مَعْرُوف مَعَهُ، وَلَا يَجِب عَلَيْهَا شَيْء مِنْ ذَلِكَ، بَلْ لَوْ امْتَنَعَتْ مِنْ جَمِيع هَذَا لَمْ تَأْثَم، وَيَلْزَمهُ هُوَ تَحْصِيل هَذِهِ الْأُمُور لَهَا، وَلَا يَحِلّ لَهُ إِلْزَامهَا بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا تَفْعَلهُ الْمَرْأَة تَبَرُّعًا، وَهِيَ عَادَة جَمِيلَة اسْتَمَرَّ عَلَيْهَا النِّسَاء مِنْ الزَّمَن الْأَوَّل إِلَى الْآن، وَإِنَّمَا الْوَاجِب عَلَى الْمَرْأَة شَيْئَانِ : تَمْكِينهَا زَوْجهَا مِنْ نَفْسهَا، وَمُلَازَمَة بَيْته[٢] .

فهذا نموذج لصدقة أسماء على زوجها بخدمته وحسن معاشرته، ويتكرر النموذج مرة أخرى -وبلون آخر -في قصة أسماء مع الرجل الذي جاء يستأذنها في البيع في ظل دارها، فقالت له : إِنِّي إِنْ رَخَّصْتُ لَكَ أَبَى ذَلِكَ الزُّبَيْرُ فَتَعَالَ

(١) مسلم بشرح النووي ١٤ / ١٦٤، ١٦٥

(٢) المصدر السابق : ١٤ / ١٦٤، ١٦٥ .

فَاطْلُبْ إِلَيَّ وَالزُّبَيْرُ شَاهِدٌ فَجَاءَ فَقَالَ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكِ فَقَالَتْ مَا لَكَ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا دَارِي ؟ فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ مَا لَكِ أَنْ تَمْنَعِي رَجُلًا فَقِيرًا يَبِيعُ ؟ فَكَانَ يَبِيعُ إِلَى أَنْ كَسَبَ فَبِعْتُهُ الْجَارِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ وَثَمَنُهَا فِي حَجْرِي فَقَالَ هَبِيهَا لِي قَالَتْ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا [١].

وهكذا تتعدد وتتنوع صدقات المرأة – بوعي وأدب وحسن عشرة – فتقديرها لمشاعر زوجها صدقة، وطلب الإذن من الزوج وتحقيق ما يرضيه والبعد عما ينكره صدقة، ومداراة خلقه وحسن عشرته صدقة .

ولهذا علق النووي على هذه القصة بقوله: هَذَا فِيهِ حُسْن الْمُلاطَفَة فِي تَحْصِيل الْمَصَالِح، وَمُدَارَاة أَخْلاق النَّاس فِي تَتْمِيم ذَلِكَ [٢].

هذا كله مع الزوج وهو أحق من تصدق عليه، وأولى من فُعل المعروف له، ولكن أسماء تتجاوز ذلك – كذلك – إلى الصدقة على هذا الرجل الفقير حين أُذن له في البيع في ظل دارها، وكسب حتى اشترى جاريتها .

وتضيف أسماء الصدقة بمالها حين اعتذرت للزبير بأنها تصدقت بثمن الجارية.. إنها صدقات متتالية .. ومبادرات تصنعها المرأة .. ووعي بفعل المعروف .. وحسن أداء وتلطف .. ومداراة .. كلها تحسب للمرأة في زمن النبوة، وتذكر لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها وزوجها .

---

(١) المصدر السابق : ١٤ / ١٦٦، ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٤ / ١٦٧ .

وكذلك ينبغي أن تعي المرأة دورها في الصدقة، وتُثمن أنواع الصدقات كلها فتجعل لها في كل ميدان صدقة، لا سيما ودينها يقول لها : الكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة.. إلخ.

٤) البيعة على الإسلام وقول الحق أينما كن :

يلفت نظر القارئ في تراجم الصحابيات كثرة القول (أسلمت وبايعت) والبيعة ميثاق غليظ وتحمل في سبيل الإسلام والدعوة إليه .. كانت المرأة تبايعه ﷺ على الإسلام والدخول في السلم كافة ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [١]

وهذا كثير، وفي صحيح البخاري باب (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) ثم ساق الحديث عن أم عطية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا (أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) ونهانا عن النياحة فقبضت إمرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً فانطلقت فرجعت فبايعها)[٢] .

وقال مصعب بن نوح: أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ .. رواه أحمد والطبري [٣] وفي صحيح البخاري باب (بيعة النساء) [٤].

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١٢.

(٢) صحيح البخاري : (كتاب التفسير – ح ٤٨٩٢)

(٣) انظر : ابن حجر : الفتح ٨ / ٥٠٨

(٤) البخاري : كتاب الأحكام ٨ / ١٢٥

ومن المعلوم أن ثمة بيعة في السيرة تسمى (بيعة النساء) ألا وهي (العقبة الأولى) [١] لأن الشروط التي أخذ على المبايعين وفق بيعة النساء التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة، كما قال ابن حجر [٢].

ولئن لم تشهد المرأة بيعة العقبة الأولى، فقد شهدت البيعة الثانية في العقبة، وكانت بيعة تختلف عن سابقتها، إذ كانت على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره .. وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم [٣].

وقد شهدها امرأتان من الأنصار هما : نسيبة بنت كعب (أم عمارة) وأسماء بنت عمرو (أم منيع) .[٤]

فإذا جاء في بنودها: وعلى أن نقول بالحق أينما كن – كان ذلك أسلوباً من أساليب دعوة المرأة – وقد صدقت فقالت الحق وبلغته للآخرين (كما سبق).

٥) الهجرة في سبيل الله :

احتاج الإسلام من المرأة أن تهاجر في سبيل الله، فكانت في طلائع المهاجرين للحبشة – وقد سبق – واحتاج المسلمون إلى الهجرة للمدينة لإقامة دولة الإسلام فكان للمرأة جهاد في الهجرة – وقد سبق أيضا – .

---

(١) البخاري : كتاب الإيمان، والمناقب، والتفسير، والأحكام، انظر للمزيد : السيرة النبوية في الصحيحين د – سليمان العودة ص ٣١٥

(٢) الفتح ٧ / ٢٢٢

(٣) البخاري ٨ / ١٢٢ كتاب الأحكام، ومسلم ٣ / ١٤٧٠ كتاب الإمارة

(٤) السيرة لابن هشام : (٢ / ٤٧ – ٥٧)

أليست الهجرة جهاداً وامتحاناً والله يقـــول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [١]

لماذا كانت هجرة المرأة، وبماذا تُمتحن؟

سئل ابن عباس رضي الله عنهما كيف كان امتحان رسول الله ﷺ للنساء ؟ قال : كان يمتحنهن " ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عـــن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله " [٢] .

وعن قتادة: وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله، وحرص عليه . [٣]

وعن عروة: فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإســـلام أبى الله أن يُرددن إلى المشركين إذا هن أمتحن محنة الإسلام [٤] .

وحيث كانت الهجرة للمدينة تسللاً من المشركين، وكانت مغرمـــاً – في ظاهرها – أكثر منها مغنماً فهي تُسجل في جهاد المرأة ودعوتها في سبيل نصرة الإسلام .

وإذا ذكر ابن إسحاق – رحمه الله – عدداً من أسماء المهاجرات [١] فدعونا نتوقف عند شيء من المصاعب التي واجهت المهاجرات في سبيل الهجرة، فزينب

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٧

(٣) تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٨

(٤) تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٩

بنت رسول الله ﷺ وإن تأخرت هجرتها إلى ما بعد بدر – فقد كانت هجرتها تُحف بالمخاطر والمخاوف – وفي حوار جرى بينها وبين امرأة أخرى ما يكشف ذلك .

روى ابن إسحاق بسنده إلى زينب: قَالَتْ بَيْنَا أَنَا أَتَجَهّزُ بِمَكّةَ لِلّحُوقِ بِأَبِي لَقِيَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَقَالَتْ يَا بِنْتَ مُحَمّدٍ أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنّك تُرِيدِينَ اللّحُوقَ بِأَبِيك ؟ قَالَتْ فَقُلْت : مَا أَرَدْت ذَلِكَ فَقَالَتْ أَيْ ابْنَةَ عَمّي، لَا تَفْعَلِي، إنْ كَانَتْ لَك حَاجَةٌ بِمَتَاعٍ مِمّا يَرْفُقُ بِك فِي سَفَرِك، أَوْ بِمَالٍ تَتَبَلّغِينَ بِهِ إلَى أَبِيك، فَإِنّ عِنْدِي حَاجَتَكِ، فَلَا تَضْطَنِي مِنّي (أي لا تختفي ولا تستحي) فَإِنّهُ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ النّسَاءِ مَا بَيْنَ الرّجَالِ . قَالَتْ وَاَللّهِ مَا أَرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إلّا لِتَفْعَلَ قَالَتْ وَلَكِنّي خِفْتُهَا، فَأَنْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ وَتَجَهّزْت . (٢)

وهل تنتهي المعاناة عند هذا الحد؟ كلا ولنسمع إلى بقية الرواية حيث قال ابن اسحق : فَلَمّا فَرَغَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ جَهَازِهَا قَدّمَ لَهَا حَمُوهَا كِنَانَةُ بْنُ الرّبِيعِ أَخُو زَوْجِهَا بَعِيرًا، فَرَكِبَتْهُ وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ ثُمّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا . وَتَحَدّثَ بِذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوًى، فَكَانَ أَوّلَ مَنْ سَبَقَ إلَيْهَا هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى، الْفِهْرِيّ، فَرَوّعَهَا هَبّارٌ بِالرّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا، وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ حَامِلًا – فِيمَا يَزْعُمُونَ –فَلَمّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذَا

(١) انظر : ابن هشام – السيرة : ٢ / ٣٦٠

(٢) ابن هشام : السيرة ٢ / ٣٦٠، ٣٦١ – وفي سند الرواية إنقطاع كما قال الهيثمي ي مجمع الزوائد ٩ / ٢١٤ – ٢١٦

بَطْنِهَا وَبَرَكَ حَمُوهَا كِنَانَةُ وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمّ قَالَ وَاَللّه لَا يَدْنُو مِنّي رَجُلٌ إلّا وَضَعْتُ فِيه سَهْمًا فَتَكَرْكَرَ النّاسُ عَنْهُ. وَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ فِي جُلّة مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ أَيّهَا الرّجُلُ كُفّ عَنّا نَبْلَك حَتّى نُكَلّمَك، فَكَفّ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ إنّك لَمْ تُصِبْ خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ النّاسِ عَلَانِيَةً وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمّد فَيَظُنّ النّاسُ إذَا خَرَجْتَ بِابْنَتِهِ إلَيْهِ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ النّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، أَنّ ذَلِكَ عَنْ ذُلّ أَصَابَنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الّتِي كَانَتْ وَأَنّ ذَلِكَ مِنّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثَوْرَةٍ وَلَكِنْ ارْجِعْ بِالْمَرْأَةِ حَتّى إذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ وَتَحَدّثَ النّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاهَا، فَسُلّهَا سِرّا، وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا ؛ قَالَ فَفَعَلَ . فَأَقَامَتْ لَيَالِيَ حَتّى إذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتّى أَسْلَمَهَا إلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ (١)

أرأيتم كيف تعرضت المهاجرة للخوف أولاً، ثم للترويع ثانياً .. هذا وهي بنت رسول الله ﷺ وزمن هجرتها بعد عز المسلمين ببدر ..

إنها معاناة، وجهاد، وصبر، تحتسب في سبيل صدق المرأة وجهادها ودعوتها، ومع المجاهدة والصبر فثمة ما يدفع المرأة للهجرة، ألا وهو خشية الفتنة في الدين.

ولقد تجلدت المرأة – في زمن النبوة – للهجرة، وخرجت مراغمة لأبويها وأخوتها، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط نموذج لهذا، وعنها قال ابن سعد :

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢ / ٣٦١، ٣٦٢،

هي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم[١] وأخرج البخاري قصتها في الهجرة – وهي عاتق (شابة) وخروج أهلها في طلبها [٢] ولم تمر هجرتها بسلام – مما يكشف عن صبر المرأة وجهادها – فقد خرج في إثرها أخواها : الوليد، وعمارة أبناء عقبة، يطالبان ردها إلى مكة فجاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو أمرها وتتخوف الفتنة في دينها، وتقول للنبي ﷺ : يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي ؟ حتى نزل حكم الله، وأنزل فيهن المحنة ﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾[٣] .

إنه ضرب من ضروب الجهاد والدعوة، ومعه وعي المرأة وتحسبها، وخوفها من الفتنة في الدين وإذا كانت (أم كلثوم) حين هاجرت لم تكن ذات زوج بمكة، وأمها (أروى بنت كريز) إنما أسلمت بعد ابنتها أم كلثوم – كما ذكر ابن سعد[٤] – ووالدها(عقبة) كان أحد قتلى بدر صبرا.

وأخواها (الوليد وعمارة) قدما المدينة على إثرها لإرجاعها .. عُلم من ذلك قدر جهاد المرأة وعزتها بالإسلام، رغم كل الظروف المحيطة بها، وكذلك

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٣٠

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام –ح ٢٧١١، ٢٧١٢

(٣) الطبقات ٨ / ٢٣٠

(٤) الطبقات ٨ / ٢٢٩

يصنع الإيمان، وكذلك تكون عزائم المؤمنات، وبه نفهم قصد ابن سعد (ولم نعلم قرشية خرجت من أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم) .

إنها بهذه العزيمة والثبات تعطي المرأة المسلمة المعاصرة دروساً تذكرها بقدرات المرأة أولاً وتبصرها بلون من ألوان المحن عرضت للمرأة وتجاوزتها بنجاح ثانياً، وتضرب أنموذجاً للفتيات بتحدي الباطل والانحياز للإسلام وأهله مهما كانت الظروف والمعوقات .

٦) احتساب المرأة (أو المرأة والحسبة) :

جاءت نصوص الوحيين مؤكدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للرجال والنساء ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [١]

يقول النحاس : وفي ذكره تعالى (وَالْمُؤْمِنَاتُ) هنا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال حيث وجدت الاستطاعة [٢].

وفي قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . [٣]

---

(١) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٢) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص ٢٠، نقلاً عن د – فضل إلهي : مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٢

(٣) تفسير القرطبي : أحكام القرآن ١٤ / ١٧٨

وفي الحديث (والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ...) [١]

وعلى صعيد الواقع مارست المرأة في زمن النبوة الحسبة والدعوة للخير، مارسته على زوجها – كما سبق – في قصة أم رافع على أبي رافع – وعلى زوج ابنتها – كما في قصة (الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية) حيث قالت : دخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة فوجدته في البيت، فجعلت أقول : قد حضرت الصلاة وأنت في البيت ؟ وجعلت ألومه، فقال : يا خالتي لا تلوميني، فإنه كان لنا ثوب، فاستعاره رسول الله ﷺ فقلت : بأبي وأمي إن كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر .. [٢]

كما احتسبت المرأة على ابن أختها، فقد روى يزيد بن الأصم – ابن أخت ميمونة – رضي الله عنها – قال : تلقيت عائشة رضي الله عنها وهي مقبلة من مكة، أنا وابن لطلحة بن عبيد الله – وهو ابن أختها – وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه، فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومها وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت : أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ورُمي برسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله عز وجل، وأوصلنا للرحم . [٣]

---

(١) متفق عليه : البخاري ح ٧١٣٧، ومسلم ح ١٨٢٩

(٢) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٦، وقال ابن حجر : في سنده عبد الوهاب بن الضحاك وهو واهٍ

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٢، وقال : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص

واحتسبت المرأة على المرأة في لباسها أو في حشمتها وحيائها، فقد روى الإمام أحمد عن أم عبد الرحمن أذينة قالت : كنا نطوف بالبيت مع أم المؤمنين (عائشة رضي الله عنها) فرأت على امرأة بُرداً فيه تصليب [١] فقالت عائشة : اطرحيه اطرحيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى نحو هذا قضبه [٢] [٣].

وروى الحاكم عن سبيعة الأسلمية رضي الله عنها أن نسوة من أهل الشام دخلن على عائشة فقالت: ممن أنتن؟ فقلن: من أهل حمص، فقالت : صواحب الحمامات؟ فقلن : نعم فقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (الحمَّام حرام على نساء أمتي، فقالت امرأة منهن : فَلِي بنات أمشطهن بهذا الشراب، قالت : بأي الشراب ؟ فقالت : الخمر، فقالت عائشة رضي الله عنها : أفكنتِ طيبة النفس أن تمتشطي بدم خترير، قالت : لا، قالت : فإنه مثله [٤].

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها لنساء دخلن عليها : لعلكن من الكورة التي تدخل نسائها الحمام ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت سترها فيما بينها وبين الله عز وجل [٥].

---

(١) فيه تصليب : أي نقش مثل الصلبان

(٢) قضبه : أي قطعه

(٣) المسند : ٦ / ١٤٠ وقال البنا : سنده جيد (بلوغ الأماني : ١٧ / ٢٨٥) وانظر : مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فضل إلهي / ٥٣

(٤) المستدرك : ٤ / ٢٨٩، ٢٩٠ وقال الحاكم : صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي

(٥) رواه الحاكم عن الثوري وقال : ورواه شعبة عن منصور ٤ / ٢٨٨، ورمز له الذهبي (خ م) وذكر ابن حجر الحديث في ترجمة أم الدرداء (خيرة) وقال سنده ضعيف جداً (الإصابة ١٢ / ٢٤٢)

وردت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على ابنها (المنذر) كسوته التي قدم بها من العراق فشق ذلك على (المنذر) وقال : يا أمه إنه لا يشف، قالت : إنها إن لم تشف فإنها تصف، ثم اشترى لها ثياباً مرويِّة، وقوهية، فقبلتها وقالت : مثل هذا فاكسني [١] .

واحتسبت المرأة على الولاة والأمراء تذكرهم بمسؤولية الرعية وتخوفهم يوم الحساب، فقد ذكر ابن عبد البر أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر، فردت عليه السلام وقالت : هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى (عميراً) في سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت (عمر) ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (أمير المؤمنين) فاتقي الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت، فقال الجارود : قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر : دعها، أما تعرفها ؟ فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر والله أحق أن يسمع لها .

قال ابن عبد البر : هكذا في هذا الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة .. وهو وهم، وخليد ضعيف سيء الحفظ، وإنما امرأة أوس بن الصامت .. [٢] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ / ٢٥٢

(٢) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٢ / ٣٠١ – ٣٠٣)

كما روى ابن عبد البر عن عبد الخالق بن زيد بن واقد، قال حدثني أبي أن عبد الملك بن مروان حدثه قال : كنت أجالس بريرة (مولاة عائشة) رضي الله عنها بالمدينة، قبل أن ألي هذا الأمر، فكانت تقول لي : يا عبد الملك إني أرى فيك خصالاً وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليت هذا الأمر فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق، قال أبو عمر : زيد بن واقد هذا ثقة من ثقات الشاميين، لقي واثلة بن الأسقع [١].

بل وصل احتساب المرأة – في زمن النبوة – إلى العلماء حين يقع لهم شيء من السهو أو الخطأ فقد ذُكر لعائشة رضي الله عنها كما روى مسلم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : إن الميت ليُعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة : يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهودية يُبكى عليها، فقال : إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها [٢].

ونقل رجال من المؤمنين لعائشة رضي الله عنها قول أبي الدرداء رضي الله عنه (لا وتر لمن أدرك الصبح) وكان يخطب الناس بهذا، فقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُصبح فيوتر [٣].

---

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦)

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ٦٤٣ ح ٩٣٢

(٣) رواه أحمد : المسند ٦ / ٢٤٢، ٢٤٣ وحسن إسناده الهيثمي في المجمع : ٢ / ٢٤٦

وأنكرت أم سلمة رضي الله عنها على سمرة بن جندب رضي الله عنه القول بقضاء الحائض للصلاة، وقالت : لا يقضين، كانت المرأة من نساء النبي ﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس [١].

كما أنكرت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما على أبي هريرة رضي الله عنه القول بأن (من أدركه الفجر جنباً فلا يصم) وحين بُلِّغ أبو هريرة بهذا الإنكار (المستند إلى السنة) قال أبو هريرة : أهما قالتاه ؟ قيل : نعم، قال : هما أعلم، ورجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك كما أخرجه البخاري ومسلم . [٢]

ويطول بنا الحديث لو استقصينا نماذج من احتساب المرأة على العلماء، بل وعلى غيرهم من طبقات المجتمع، وثمة دراسات تتبعت هذا الأمر وفصلت فيه[٣].

على أن مما وقع الخلاف والإشكال فيه تعيين المرأة محتسبة في الأسواق، وحين تذكر كتب الطبقات والتراجم نماذج (الشفاء بنت عبد الله أم سليمان بن أبي حثمة (رضي الله عنها) وتولية عمر رضي الله عنه لها . [٤]

---

(١) سنن أبي داود، وسكت عنه المنذري كما في مختصر السنن ١ / ١٩٦، ١٩٧ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ٦٣ وانظر المستدرك للحاكم ١ / ١٧٥ وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص

(٢) صحيح البخاري : ٢ / ٢٣٢ – كتاب الصوم – وفيه أن مروان (أمير المدينة) أمر أن يقرع بها أبو هريرة، فاعتذر أبو هريرة أنه سمعه من الفضل بن عباس ومسلم : ٢ / ٧٧٩، ٧٨٠ – واللفظ له .

(٣) انظر : د فضل إلهي – مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) قال ابن عبد البر : وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها، وربما ولاها شيئاً من امر السوق (الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣ / ٥٧،٥٨ – وعنه نقل ابن حجر في الإصابة ١٣ / ٥ وترجم لها ابن سعد في الطبقات ٨ / ٢٦٨ ولم يذكر ذلك .

أو (سمراء بنت نهيك الأسدية) حيث كانت تمر في الأسواق تأمر وتنهى وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها [١] .

ويعترض البعض على تولية المرأة في الحسبة ويضعفون الأخبار الواردة في ذلك [٢] ويوازن البعض بين أدلة المانعين والمجيزين لاحتساب المرأة في السوق [٣].

٧) المرأة والجهاد :

أ – جهاد الكلمة : وهو ضرب من ضروب الجهاد يُضن أنه يسير وهو عزيز إلا من يسره الله عليه ومن بين أساليب المرأة في الدعوة جهاد الكلمة، وسواءً كانت خطيبة – وقد سبق – أو شاعرة تنافح بشعرها عن الإسلام وتدافع عن النبي ﷺ وتتوجع لمصاب المسلمين وهذا كثير وقع لعدد من النساء يتوجعن لقتلاهن في أحد أو غيرها [٤] .

وفي جهاد الكلمة ذُكر في ترجمة أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها أنها كانت تعضد النبي ﷺ بلسانها، وتحض ابنها (طليباً) على نصرته والقيام بأمره [٥] .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٣ / ٤٥)

(٢) انظر : أبو بكر بن العربي – أحكام القرآن ٣ / ١٤٥٧

(٣) انظر تفصيل ذلك عند د – فضل إلهي: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١١٨ – ١٤١

(٤) انظر أبن هشام ٣ / ٢٣٨ في شعر صفية بنت عبد المطلب، ٢٣٩ في شعر نُعم امرأة شماس بن عثمان وغيرهن

(٥) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ١٠٩

كما صدعت المرأة بصدق جهادها في الكلمة عن ظلم الظالمين، فقد كان لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما موقف صدق ومصارحة مع الحجاج حين قتل وصلب ابنها (عبد الله بن الزبير)

وفي صحيح مسلم أن الحجاج أرسل إلى أسماء يطالبها، بل يهددها بالقدوم عليه ويقول : لتأتيني أو لأبعثن إليها من يسحبها بقرونها، فأبت أن تستجيب لطلبه حتى قدم عليها، فلما دخل قال : كيف رأيتيني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الأخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه، فقام عنها و لم يراجعها [١] وهذا الموقف من أسماء مع الحجاج ربما قصر عنه بعض الرجال، لا سيما مع رجل كالحجاج.

كما وقفت أسماء على الحجاج وقالت : أما آن لهذا الراكب أن يترل ؟ قال : المنافق، قالت : والله ما كان منافقاً، وقد كان صواماً، قواماً، فقال : إذهبي فإنك عجوز قد خرفت فقالت: لا والله ما خرفت، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فأنت هو، فقال الحجاج : منه المنافقون . [٢]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها – ٤ / ١٩٧١، ١٩٧٢ – ح ٢٥٤٥)

(٢) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ١١٥ – والمبير (المهلك) والحجاج كان مسرفاً في القتل

وإذا كان جهاد المنافقين ضمن الجهاد المشروع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [١] فقد كان للمرأة – في زمن النبوة – إسهام في جهاد المنافقين، وحين نجم نفاق أبي عفك (شيخ من بني عمرو بن عوف) وكان يُحرض على عداوة النبي ﷺ ، ولا سيما بعد قتل النبي ﷺ للحارث بن سويد بن صامت، وانتصاره ﷺ على المشركين ببدر، وقال في ذلك شعراً حينها قال النبي ﷺ : مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ، فَخَرَجَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، (أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ) إليه فَقَتَلَهُ، فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُزَيْرِيّة [٢] فِي ذَلِكَ :

تُكَذّبُ دِينَ اللّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا ... لَعَمْرُ الّذِي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يُمْنِي

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللّيْلِ طَعْنَةً ... أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السّنّ [٣]

وهكذا تكامل جهاد الصحابة (رجالاً ونساءً) للمنافقين، فالرجال بسنانهم، والنساء بألسنتهن وشعرهن .

و(درة بنت أبي لهب) حين دخل على زوجها (دحية بن خليفة) نفرٌ من المنافقين، فقال بعضهم لبعض: إنما مثل محمد كمثل عذق نبت في فناء، تحركت عاطفة المرأة، وذهبت لأم سلمة رضي الله عنها تشكو لها الأمر، وتخبرها بمقولة المنافقين.[٤]

---

(١) سورة التحريم : الآية ٩ .

(٢) وعند الواقدي (النهدية) : المغازي ١ / ١٧٥ وعند ابن حجر (الربذيّة) : الإصابة ١٢ / ١٣٠

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ / ٣٧٧، الواقدي : المغازي ١ / ١٧٤، ١٧٥

(٤) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ٢٤٦ ونسبه ابن حجر إلى ابن مندة

وحين نعود للشعر وصدقه وجزله، وجهاد المرأة فيه، لا بد من ذكر الخنساءؓ (تماضر بنت عمرو) الشاعرة التي قيل : أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها [١] وكان النبي ﷺ يستنشدها الشعر ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول : هيه يا خناس ويومي بيده [٢] وهي التي روي أنها وعضت أبناءها الأربعة وحرضتهم على القتال وعدم الفرار في معركة القادسية حتى قتلوا جميعا، فما زادت على قولها (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [٣] .

وهل أبكت المرأة بشعرها النبي ﷺ وإن كانت تتوجع لقتيل كافر ؟ هذا ما ذُكر عن (قتيلة بنت النظر بن الحارث) حين أنشدت النبي ﷺ أبياتاً من الشعر تستعطفه وتطلب لو منّ على أبيها (النظر) بدل قتله صبراً، وتقول :

هل يسمعن النضر إن ناديته ... بل كيف يسمع ميتٌ لا ينطق

إلى أن تقول :

قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رسف المقيد وهو عانٍ موثق
أمحمد ولدتك خير نجيبةٍ	من قومها والفحل فحلٌ معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من قتلت قرابةً	وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

(١) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ٢٢٧

(٢) المصدر السابق : ١٢ / ٢٢٦

(٣) ابن حجر : الإصابة ١٢ / ٢٢٨

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخضلت لحيته وقال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته، قال الزبير بن بكار: سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول: أنها مصنوعة، وقال ابن حجر : و لم أر التصريح بإسلامها (قتيلة) لكن إن كانت عاشت إلى الفتح فهي من جملة الصحابيات [١].

وحين توفي رسول الله ﷺ رثاه الشعراء، وكان للمرأة إسهام وافر في هذا الرثاء، وممن رثينه ﷺ أروى، عاتكة، صفية بنت عبد المطلب، وهند بنت الحارث بن عبد المطلب، هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب (أخت مسطح بن أثاثة)، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وأم أيمن – ذكرهن الواقدي – [٢].

ب) المشاركة في الغزو :

أما جهاد المرأة بالسنان فقد ورد مشاركة المرأة في عدد من الغزوات، ووقع الخلاف بين الإذن لها ونسخه، وبين مشاركتها لأغراض سقاية العطشى، ومداواة الجرحى، أو لغرض القتال والمشاركة في الإجهاز على الأعداء، وإليك البيان :

في معركة (بدر) استأذنت (أم ورقة الأنصارية) رسول الله ﷺ في الخروج معه والهدف كما قالت – لأمرض مرضاكم – ثم لعل الله يرزقني الشهادة، فرد عليها النبي ﷺ وقال : قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة، فكانت تسمى الشهيدة . [٣]

---

(١) انظر ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٩٥، ٩٦

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ٢ / ٣٢٥ - ٣٣٣

(٣) الإصابة لابن حجر : ١٣ / ٣٠٤

ولم تذكر كتب السيرة أن امرأة شهدت بدراً مع النبي ﷺ .

في غزوة (أحد) ثبت في الصحيح أم سليط (والدة أبي سعيد الخدري) رضي الله عنها كانت تَزْفِرُ القرب للمسلمين في أحد [١] كما ثبت أن عائشة، وأم سليم رضي الله عنهما كانتا مشمرتين، يُرى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ المقاتلين المسلمين، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ [٢]

وعند ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه : وكانت النساء يوم أحد يُجهزن على الجرحى ويسقين الماء ويداوين الجرحى [٣] .

بل ذكرت بعض المصادر أن المرأة أبلت في القتال – في أحد – بلاءً حسناً، وقد ذكر ابن سعد وغيره قتال (أم عمارة : نسيبة بنت كعب) في أحد، وإنها قاتلت وأبلت بلاءً حسناً، وجُرحت اثني عشر جرحاً، لا سيما حين كانت الدولة على المسلمين، وحين نادى المنادي إلى (حمراء الأسد) خرجت وشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، حتى إذا عاد النبي ﷺ من حمراء الأسد سأل عنها، فلما أُخبر بسلامتها سُرّ بذلك [٤] .

---

(١) صحيح البخاري، غزوة أحد : ح ٤٠٧١

(٢) البخاري (٤٠٦٤) ومسلم (١٨١١)

(٣) المغازي (تحقيق د – العمري) ص ٢٣٢

(٤) الطبقات ٨ / ٤١٣، كما نقل ابن حجر مباشرتها للقتال في أحد وأنها قتلت فارساً من المشركين (الإصابة ١٣ / ٢٥٨)

كما ورد أن النبي ﷺ قال بشأن قتالها في أحد : (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان) وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال [١] قال الذهبي عنها (أم عمارة) المجاهدة شهدت أحداً، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدها في الجهاد [٢] .

وعند ابن سعد أن قطع يدها كان باليمامة [٣] .

وكان للمرأة في (أحد) دور في الإجهاز على جرحى المشركين، فقد روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : كانت النساء يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين [٤] .

وإلى جانب هذا وذاك قامت المرأة في أحد بتقريع المنهزمين من المسلمين، فقد لقيت (أم أيمن) طائفة من المسلمين منهزمة، فجعلت تحثوا في وجوههم التراب وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك[٥] .

وفي غزوة الأحزاب كفى الله المؤمنين القتال، ومع ذلك ذُكرت المرأة في الغزوة، فصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كانت في حصن حسان بن ثابت مع الذرية، فمر بالحصن يهودي فجعل يطيف بالحصن يستمع ويَتخبّر، فطلبت

---

(١) الطبقات ٨ / ٤١٣ والرواية عن حفيدها : حمزة بن سعيد المازني وهو ثقة (تهذيب التهذيب : ٤ / ٤٦٦)

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢ / ٢٧٨

(٣) الطبقات : ٨ / ٤١٦

(٤) المسند : ١ / ٤٦٣، المغازي : ص : ٢٣٧، ٢٣٨، وسبل الهدى والرشاد للصالحي : ٤ / ٣٠٠

(٥) سبيل الهدى والرشاد : ٤ / ٢٩١

صفية من حسان قتله فاعتذر، فنزلت ومعها عمود فختلت اليهودي حتى قتلته بالعمود [١].

وعند الحاكم عن هشام عن أبيه (عروة) قالت صفية : أنا أول امرأة قتلت رجلاً، ثم ذكرت قصتها مع (حسان) و (اليهودي) حتى قتلته [٢].

وفي غزوة بني المصطلق (المريسيع) أقرع النبي ﷺ بين نسائه — وكان إذا أراد سفراً أقرع بينهن -فخرج السهم على عائشة رضي الله عنها، فخرجت معه في الغزوة [٣] وهل خرج معه غير عائشة ؟ ذكر الواقدي خروج أم سلمة مع عائشة[٤] وضعفه ابن حجر وقال : ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر [٥] وهل وقع قتال في تلك الغزوة، وهل شاركت المرأة فيه ؟

ذُكر القتال والإغارة على اختلاف بين أهل الحديث وأهل السير [٦] لكن لم يذكر أحد منهم مشاركة المرأة (عائشة) في شيء من ذلك، وإن قال أحد

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٤١

(٢) المستدرك : ٤ / ٥١ وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن عروة لم يدرك صفية (التلخيص ٤ / ٥١) وسكت عنه في السير : ٢ / ٢٧٠، ٢٧١ ورواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ولكنه مرسل (مجمع الزوائد : ٦ / ١٣٤)

(٣) انظر : صحيح البخاري (المغازي) باب حديث الإفك ح ٤١٤١، و (التفسير) سورة النور ح ٤٧٥٠، والطبراني : وفيها التصريح باسم الغزوة (مجمع الزوائد : ٩ / ٢٣٢

(٤) المغازي : ٢ / ٤٢٦

(٥) الفتح : ٨ / ٤٥٨ وقال إن ابن إسحاق لم تذكر (أم سلمة) وهي بنفس سند الواقدي

(٦) انظر ابن حجر : الفتح ٧ / ٤٣٠، ٤٣١

الباحثين : في الغزوة من الأحكام والعبر : مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك[١].

أما في الحديبية فلم يخرج النبي ﷺ للقتال، إنما خرج معتمراً معظماً للبيت، فقد أحرم بالعمرة وأحرم معه أصحابه من ذي الحليفة [٢] وقد قال لبعض أصحابه : لست أحب حمل السلاح معتمراً [٣] .

وقد ثبت خروج أم سلمة رضي الله عنها معه في الحديبية [٤]وثبت أنها كانت صاحبة الرأي للنبي ﷺ أن يحلق رأسه – حين تأخر أصحابه بالحلق – فلما فعل ذلك جعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً . [٥]

لقد كان أمراً عظيماً أن يتأخر المسلمون عن أمر أمرهم به النبي ﷺ ، حتى جلّ الله عنهم ذلك بأم سلمة - كما جاء في بعض الروايات [٦] وأياً ما كانت التفسيرات والدوافع التي أخرت المسلمين عن الحلق [٧] ففي الحديث من الفقه : مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة ووفور عقلها، حتى قال إمام

---

(١) مهدي رزق الله : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٤٤١)

(٢) انظر البخاري (غزوة الحديبية) ح : ٤١٤٩، ح ٤١٥٧

(٣) الواقدي : المغازي ٢ / ٥٧٣

(٤) انظر ابن سعد : الطبقات ٢ / ٩٥، صحيح البخاري : ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢

(٥) صحيح البخاري، كتاب الشروط ح : ٢٧٣١، ٢٧٣٢

(٦) انظر : ابن حجر (الفتح ٥ / ٣٤٧)

(٧) المصدر السابق (٥ / ٣٤٧)

الحرمين : لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة وقد أُستدرك عليه ببنت شعيب في أمر موسى [١] .

وكذلك يتضح أن مشورة المرأة أحد المساهمات المهمة لها في الغزوات، على أن بعض المصادر تذكر خروج عدد من النساء – يوم الحديبية – مع أم سلمة، قال الواقدي : وخرج معه أربع نسوة : أم سلمة، وأم عمارة، وأم منيع، وأم عامر الأشهلية [٢] .

وفي غزوة (خيبر) خرج معه ﷺ عدد من النساء، فأم سلمة رضي الله عنها أخرجها ﷺ معه لغزوة خيبر [٣] وابن إسحاق يقول : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله ﷺ من الفيء، ولم يضرب لهن بسهم [٤] .

ثم ساق ابن إسحاق بإسناده إلى امرأة من بني غفار – سميت له * – قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلن يا رسول الله : قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا – وهو يسير إلى خيبر – فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال : على بركة الله قالت : فخرجنا معه .. قالت :

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٧) والإصابة : ١٣ / ٢٢٤

(٢) المغازي : ٢ / ٥٧٤

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢ / ١٠٦

(٤) انظر : السيرة لابن هشام ٣ / ٤٧٦

* قال السهيلي : ويقال اسمها ليلى، ويقال هي امرأة أبي ذر الغفاري (الروض الأنف ٦ / ٥٧٢) وسياتي من رواية الواقدي غير ذلك .

فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر رضخ لنا من الفيء، وأشارت إلى قلادهـــا في عنقها أعطاها إياها . (١)

ونقل ابن كثير هذه الرواية عن ابن إسحاق – بنفس السند – ثم قـــال في نهايتها : وهكذا رواه الإمام احمد وأبو داود من حديث ابن إسحاق به . (٢)

كما رواها الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن أم علي بنت الحكم ومصرحا باسم المرأة الغفارية وهي : أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية . (٣)

وقد ذكرت رواية عند الإمام أحمد ستاً من النساء خرجن في خيبر (٤) وزاد الواقدي عددهن إلى عشرين امرأة، وسماهن . (٥)

---

(١) ابن هشام : السيرة ٣ / ٤٧٦، ٤٧٧ وسنده : حدثني سلمان بن سحيم عن أمه بنت أبي الصلت، عن امراة من بني عفار – سماها لي – (وقد وقع خطأ في سند هذه الرواية عند أبي صعيليك، والدكتور همام – فلينتبه له –)

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ٣ / ٣٨٧

(٣) المغازي ٢ / ٦٨٥، وذكر الرواية عن الواقدي أبو الحجاج المزي في اطرافه (ابن كثير : الـــسيرة ٣ / ٣٨٨) ولعل مما يقوي هذا أن سليمان بن سحيم روى عن أمه آمنه بن الحكم الغفارية، وآمنة بنت أبي الصلت، وقد وثقه غير واحد من الأئمة (التهذيب : ٤ : ١٩٣، ١٩٤) ولعله وقع الخلـــط في اسمها بين ليلى وأمه وأمية، وآمنة، وسواء كان أبوها الحكم أو أبا الصلت (ابن حجـــر : الإصـــابة ١٢ / ١٥٠) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٣٠

(٤) انظر السيرة لابن كثير : ٣ / ٣٨٨

(٥) المغازي : ٢ / ٦٨٥ – ٦٨٧

كما حدد عدد من النساء اللاتي خرجن مهمتهن في الخروج، ففي رواية أحمد أن الست من النساء دعاهن رسول الله ﷺ حين علم بخروجهن فقال : ما أخرجكن ؟ وبأمر من خرجتن ؟ وقد رأين في وجهه الغضب، فقلنا : خرجن نناول السهام، ونسقي السويق، ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله، قال : فمرن فانصرفن .[١]

وفي رواية أم سنان الأسلمية قلت : يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا، أخرز السقاء وأداوي المرضى والجريح إن كانت جراح - ولا يكون - وأنظر الرَّحل، فقال رسول الله ﷺ : اخرجي على بركة الله فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فكوني مع أم سلمة.[٢]

وهكذا يظهر أن (غزوة خيبر) ظفرت بأكثر عدد من النساء يخرجن للغزوة، ويلفت النظر خروج نساءٍ حبلى بل قريبات الوضع، فقد ذكرت الروايات ولادة اثنتين منهن في خيبر وهن : امرأة عاصم بن عدي[٣] وامرأة عبد الله بن أنيس حيث ولِد له بخيبر .[٤]

---

(١) ابن كثير : السيرة ٣ / ٣٨٨

(٢) الواقدي : المغازي ٢ / ٦٨٦، ٦٨٧ وابن سعد : الطبقات ٨ / ٢٩٢ وفيه : وأبصر الرحل بدل : وانظر الرحل

(٣) الواقدي : المغازي ٢ / ٦٨٥

(٤) الواقدي : المغازي ٢ / ٦٨٧

ولئن كانت المرأة لم تشارك في القتال بشكل مباشر، فقد كانت تناول السهام، وتنظر في الرحل، وتجهز الغزاة بغزلها، ولم تكن بعيدة عن معترك القتال، وهذه أم سلمة رضي الله عنها تقول : سمعت وقع السيف في أسنان مرحب .(١)

وفي غزو (حنين) شاركت المرأة واتخذت عدة القتال وأقرها النبي ﷺ بل ضحك لصنيعها فقد ثبت أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً وكان معها، فرآها أبو طلحة فقال يا رسول الله : هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله ﷺ : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منِّي أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك قالت يا رسول الله : اقتل مَن بعدنا من الطلقاء انهزموا بك ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن .(٢)

فالمرأة هنا تتخذ آلة القتال الممكنة لها (الخنجر) وتهدد بالقتل من اقترب منها، ثم هي تضيق بمن انهزم من جند المسلمين (الطلقاء) وتطلب من النبي ﷺ أن يتيح لها الفرصة لقتلهم، فيعتذر لها رسول الله ﷺ بكفاية الله وإحسانه ..

إنها مواقف بطولية تذكر للمرأة لا سيما في أوقات الشدائد وتراجع الرجال ؟ وليس يخفى أن زمن (حنين) زمن كثرة للمسلمين ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب (في هامش الإصابة) ١٣ / ٢٣٢

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال ٣ / ١٤٤٢ ح ١٨٠٩، وأبو داود (٢٧١٨) بسند جيد، وابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر (الإصابة ١٣ / ٢٢٧)

كَثْرَتُكُمْ) وزمن تولية الأدبار ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ وحين توجد المرأة وتنعى على المنهزمين فذلك وسام شرف وأمارة ثبات، يُذكر للمرأة في عصر النبوة، وخليق بالمرأة المعاصرة أن تعقله وتستفيد منه .

وبعد هذا العرض عن مشاركات المرأة في الغزو يَرِد السؤال المهم :

هل بقي الإذن لها بالمشاركة في الجهاد أم نُسخ ؟

أخرج ابن أبي شيبة و مطين والطبراني وغيرهم من طريق الأسود بن قيس[١] عن سعيد بن عمرو القرشي[٢] أن أم كبشة امرأة من قضاعة قالت : يا رسول الله ائذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا، قال : لا، قلت : يا رسول الله إني لست أريد أن أقاتل، إني أريد أن أداوي الجرحى والمرضى، واسقي الماء، قال : لولا أن تكون سنة ويقال فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن أجلسي [٣] وأخرج ابن سعد عن ابن أبي شيبة، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي[٤] عن حسن بن صالح عن الأسود بن قيس، عن سعيد بن عمرو، عن أم كبشة .. بنحوه، وقال ﷺ في نهايته: اجلسي لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بامرأة.[٥]

---

(١) الأسود بن قيس العبدي : ثقة من الرابعة (التقريب ص ١٤٦) .

(٢) سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي : ثقة من صغار الثالثة (التقريب ص ٣٨٥) و(التهذيب ٤ / ٦٨)

(٣) ابن أبي شيبة : المصنف ٦ / ٥٣٨، والطبراني في الكبير ٢٥ / ١٧٦، وقال الهيثمي في المجمع ٥ / ٣٢٣ : رجاله رجال الصحيح وانظر الإصابة لابن حجر : ١٣ / ٢٧١

(٤) حميد الرؤاسي : مقبول من الثالثة (التقريب ص ٢٥٧)

(٥) الطبقات : ٨ / ٣٠٨ .

وحاول ابن حجر الجمع بين هذه الرواية، وما سبق – في مشاركات المرأة – فقال : ويمكن الجمع بين هذا وبين ما تقدم في ترجمة (أم سنان الأسلمي) أن هذا ناسخ لذلك، لأن ذلك كان بخيبر، وقد وقع قبله بأحد كما في الصحيح من حديث البراء بن عازب، وهذا كان بعد الفتح . (١)

وعندي أن هذا الجمع يحتاج إلى نظر، إذ كيف يجاب على مشاركة المرأة – في حنين – كما ثبت في الصحيح – وقد سبق – وحنين بعد خيبر والفتح، وأمرٌ آخر فهذه الرواية غير محددة في غزوة، وغاية ما جاء فيها (في جيش كذا وكذا) وفهم ابن حجر أنها بعد الفتح .. لكنه لم يحدد في أي غزوة أو جيش أو سنة، كيف وقد ثبت مشاركتها في (حنين) وهي بعد الفتح

على أن مشاركة المرأة في الغزو – في عهد النبوة – تسنده نصوص أخرى صحيحة، ومتأخرة ففي -صحيح مسلم – كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله : هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهن بسهم ؟ فكتب إليه ابن عباس : كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويُحذين من الغنيمة، وأما بسهم فلا يضرب لهن . (٢)

وفي رواية أخرى قال ابن عباس : لـ (نجدة الحروري) وسألت عن المرأة والعبد، هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا البأس ؟ فإنهم لم يكن لهم سهم

---

(١) الإصابة : ١٣ / ٢٧١ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم (٣ / ١٤٤٤) {حديث : ١٨١٢ }

معلوم، إلا أن يُحذيا من غنائم القوم [١] فالمتحدث هنا ابن عباس رضي الله عنهما، والمصدر أحد الصحيحين، والزمن متأخر إلى أيام الخوارج .

وإذا كان هذا ما نقله ابن عباس، فأنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى . [٢]

بل هناك شاهدة عيان (أم عطية الأنصارية) تقول : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى . [٣]

وقال ابن عبد البر : كانت أم عطية من كبار نساء الصحابة، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله ﷺ تمرض المرضى وتداوي الجرحى، ثم ذكر أنها معدودة في أهل البصرة، وأن جماعة من الصحابة والتابعين كانوا يأخذون عنها العلم[٤].

وهذا يعني تأخر وفاتها، فما المانع أن تكون أحد هذه الغزوات السبع متأخرة في العهد النبوي ؟

---

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٤٦

(٢) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٤٣ ح ١٨١٠

(٣) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٤٧ ح ١٨١٢

(٤) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٣ / ٢٥٦، ٢٥٧)

وجاء في ترجمة (نسيبة بن كعب) رضي الله عنها أنها شهدت أحداً، والحديبية، وخيبر والعقبة، والفتح، وحنيناً، واليمامة [١] مما يؤكد أن مشاركة المرأة في الغزو في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد مماته .

ولم تكن (أم عمارة) هي الوحيدة في ذلك، فأم حكيم (زوج عكرمة بن أبي جهل) رضي الله عنه وعنها، تخرج مع زوجها عكرمة إلى غزوة الروم [٢] ثم خرجت بعد وفاة زوجها إلى وقعة (مرج الصفر) وبه تزوجها خالد بن سعيد بن العاص وقد قالت له (أم حكيم) حين أراد الدخول بها : لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال : إن نفسي تحدثني أني أقتل قالت : فدونك، فأعرس بها عند قنطرة عُرفت بقنطرة (أم حكيم) ثم وقع القتال بين المسلمين والروم فاستشهد خالد، وشدت أم حكيم عليها ثيابها فقاتلت يومئذ، فقتلت بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم . [٣]

وهذا كذلك شاهد على استمرار خروج المرأة في الغزو، بل وفي مشاركتها في القتال وأم موسى بن نصير اللخمية، ذكر الرشاطي، وعنه ابن حجر أنها شهدت مع زوجها (اليرموك) فقتلت حينئذ علجاً، وأخذت سَلَبه، وكان عبد العزيز بن مروان يستحكيها الخبر فتصفه له وتقول : بينما نحن في جماعة من النساء إذ جال الرجال جولة، فأبصرت علجاً يجرُّ رجلاً من المسلمين فأخذت عموداً من الفسطاط ثم دنوت منه فشرخت رأسه، وأقبلت أسْلِبُه

---

(١) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٥٧، ٢٨٥

(٢) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ١٩٧

(٣) المصدر السابق : ١٣ / ١٩٧

فأعانني الرجل على أخذه [١] فهي ليست وحدها بل معها مجموعة نساء، وهي لا تكتفي بمجرد الخروج بل وتقتل العلوج !! كما نقل البغوي بسنده عن ابن إسحاق أن نساءً من قريش قاتلن بالسيوف في معركة اليرموك سنة (١٥هـ) حين دخل عسكر المسلمين حتى سابقن الرجال منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام [٢]

أما (أم حرام بنت ملحان) زوج (عبادة بن الصامت) رضي الله عنهما فهي نموذج لعلو همة المرأة في الغزو وركوب البحر، والنبي ﷺ يبارك لها هذه الهمة، ويدعوا لها بتحقيقها وخبرها كما في صحيح البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ دخل عليها فاتكأ عندها [٣] ثم ضحك، فقالت لم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة، فقلت : يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم أجعلها منهم، ثم عاد فضحك، فقالت له : مثل، أو مم ذلك ؟ فقال لها مثل ذلك فقالت : أدع الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين ولست من الآخرين، قال أنس (الرواي) : فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة [٤] فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت . [٥]

---

(١) ابن حجر : الإصابة ١٣ / ٢٩٧

(٢) المعرفة والتاريخ : ٣/٣٠٠ .

(٣) وفي الرواية الأخرى : قال عندها، فاستيقظ وهو يضحك .

(٤) زوج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

(٥) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب غزو المرأة في البحر (ح ٢٨٧٧، ٢٨٧٨) ابن سعد : الطبقات ٨ / ٤٣٥

فهذه امرأة تشارك في الغزو بعد وفاته ﷺ بل وبإقرار منه ودعاء وليست وحدها، بل ذُكر معها زوج معاوية [١] وهو أمير الجيش حينئذ، ومعه أبو ذر، وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، سنة (٢٧) من الهجرة، وكانت الغزوة (غزوة قبرص) . [٢]

وأورد البخاري الرواية عن (أم حرام) في موضع آخر، وبنحو السياق السابق، وفي نهايته : فتزوج بها عبادة، فخرج بها إلى الغزو، فلما رجعت قُرِّبت دابة لتركبها، فوقعت فاندقت عنقها . [٣]

على أن المتأمل يلحظ أن البخاري ربما يؤمي إلى قتال المرأة، فأحد أبوابه (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال) [٤] وفهم ابن المنير من ذلك أمرين:

أ) أن إعانتهن على الغزو غزو .

ب) أنهن ما ثبتن لسقي الجرحى ونحو ذلك إلا وهن بصدد أن يدافعن عن أنفسهن وهو الغالب . [٥]

وفهم ابن حجر أن البخاري قصد السؤال يعني هل هو سائغ ؟ أو الاقتصار عل ما ذُكر في الحديث من مداواة الجرحى ونحوه . [٦]

---

(١) قيل اسمها : فاختة بنت قرظة، وقيل : كنود بنت قرظة (الفتح ٦ / ٧٦) و (الإصابة ١٣ / ١٩٣)

(٢) الإصابة : ١٣ / ١٩٣

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد – باب ركوب البحر – ح ٢٨٩٤، ٢٨٩٥

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٠

(٥) الفتح : ٦ / ٧٨

(٦) المصدر السابق .

وربما عضد رأي ابن المنير، وابن حجر، أن البخاري عقد (باب جهاد النساء) ثم ساق به حديث عائشة رضي الله عنها قالت : فاستأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال : جهادكن الحج [١] نعم الجهاد الحج [٢] ولكن قال ابن بطال : دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (جهادكن الحج) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما لم يكن عليهن واجبا، ثم عقب ابن حجر: قلت: وقد لمح البخاري بذلك في إيراده الترجمة مجملة، وتعقيبها بالتراجم المصرحة بخروج النساء إلى الجهاد . [٣]

ومما يؤكد هذا المعنى قوله ﷺ لأم سليم : إنه لم يكتب على النساء الجهاد. [٤]

وإذا كانت روايات البخاري تؤكد خروج المرأة للجهاد لغرض سقاية العطشى [٥] ومداواة الجرحى . [٦]

فهي تضيف أغراضاً أخرى لمشاركة المرأة في الجهاد، مثل : رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة [٧] وخدمة المقاتلين . [٨]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٧٥

(٢) البخاري – ح ٢٨٧٦

(٣) الفتح : ٦ / ٧٦

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (٣٢٤) والأوسط (٣٣٦٣) وفيه أن السائل : أم سلمة

(٥) البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٠، ٢٨٨١

(٦) البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٢

(٧) البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٢

(٨) البخاري : كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٣

واستنبط ابن حجر من هذه الأحاديث : جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة .[١]

وأضاف رواية أخرى زادها الإسماعيلي – على روايات البخاري السابقة – (ولا نقاتل)[٢] فإن صحت كانت من أدلة القائلين بعدم مباشرة المرأة للقتال في الغزو .

والذي يظهر من هذا العرض واستقراء النصوص : أن خروج المرأة للغزو – في زمن النبوة وبعده – تؤكده نصوص صحيحة وصريحة، وأنها كانت تقوم بأدوار عدة كـ (سقاية العطشى ومداواة الجرحى، والمشورة بالرأي، وغزل الشعر للقتال، والنظر في الرحل، ومناولة السهام ورد الجرحى والقتلى إلى المدينة).

ويقع الخلاف في مشاركتهن في القتال، وحيث صح مدافعة بعضهن عن أنفسهن بالخناجر – كأم سليم – في حنين، فقد ورد مشاركتهن في القتال وقتل الأعداء كما في قصة صفية وقتلها اليهودي في (الأحزاب) و (أم حكيم) تقتل سبعة من الروم، و (أم موسى بن نصير) تشدخ رأس أحد الأعداء وتأخذ سلبه – كما سبق – وعدد من نساء قريش يشاركن بالقتال في اليرموك، وهذا يقوي عندي مشاركتها في القتال لكن عند الحاجة وأمن الفتنة، حيث قيّد عدد من أهل العلم خروج المرأة للغزو بعدد من الضوابط أشير إلى شيء منها :

---

(١) الفتح : ٦ / ٨٠

(٢) الفتح : ٦ / ٨٠

قال الخطابي تعليقاً على حديث غزوه ﷺ بأم سليم ونسوة معها من الأنصار : في هذا الحديث دلالة على جواز خروج النساء في الغزو لنوع من الرفق والخدمة .

وحيث ورد – في غير هذا الحديث – رد النبي ﷺ للنساء، فيشبه أن يكون رده إياهن لأحد معنيين :

إما أن يكون في حال ليس بالمستظهر بالقوة والغلبة على العدو فخاف عليهن فردهن، أو يكون الخارجات معه من حداثة السن والجمال بالموضع الذي يخاف فتنتهن . (١)

وجاء في السير الكبير : ولا بأس بأن يحضر منهن الحرب العجوز الكبيرة فتداوي الجرحى وتسقي الماء، وتطبخ للغزاة إذا احتاجوا لذلك ..

أما الشواب فيمنعن من الخروج لخوف الفتنة، والحاجة ترتفع بخروج العجائز . (٢)

ويقول الخرقي : ولا يدخل مع المسلمين من النساء إلى أرض العدو إلا امرأة طاعنة في السن لسقي الماء ومعالجة الجرحى . (٣)

كما اشترطوا لخروجها للجهاد مع محرمها وبإذنه (٤) وأن يكون في عسكر عظيم يؤمن عليها معهم (٥) .

---

(١) معالم السنن، شرح سنن أبي داود : ٣ / ٣٧٩، ٣٨٠ – (تحقيق أحمد شاكر، محمد الفقي)

(٢) الشيباني : شرح كتاب السير الكبير ١ / ١٨٥

(٣) عمر الخرقي : مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي ص ١١٨

(٤) الشيباني : شرح السير الكبير ٤ / ٢١٤

(٥) اللباب في شرح الكتاب : ٤ / ١١٨، حاشية الخرشي ٤ / ١٩

دروس وعبر من (فقه دعوة المرأة):

وحين يراد استثمار هذه النصوص في مشاركة المرأة في الدعوة في زمن النبوة وتوظيفها لدعوة المرأة المعاصرة يمكن تسجيل الدروس التالية:

١ – لم تكن المرأة – في زمن النبوة – رقماً هامشياً في المجتمع، بل كانت فاعلة ومشاركة وكذلك ينبغي أن تكون المرأة المعاصرة، وإذا عدت مشاركاتها المتعددة كان للدعوة نصيبها وكان للمرأة سهمها في هذا الميدان الرحب .

٢ – لم تقتصر مشاركات المرأة في الدعوة على جانب دون أخر، ولا على حال دون حالٍ أخرى بل شاركت في الدعوة السرية والعلنية، وشاركت في الهجرة والتربية، كما شاركت بمالها وعلمها، آنست وثبتت، صبرت واحتسبت، دافعت عن عرض الصالحين، ودفعت مكر المجرمين وفي ذلك توسيع لدائرة الدعوة، ودعوة للمرأة المعاصرة لممارسة الدعوة في كافة الجوانب والآليات الممكنة للمرأة .

٣ – كما لم تقتصر مشاركتها في الدعوة على فئة دون أخرى، بل شملت الأزواج والأبناء والبنات، والآباء والأمهات، ومن باب أولى أن يكون لها إسهام في دعوة بنات جنسها من القريبات أو البعيدات، والمسلمات وغير المسلمات، وكذلك ينبغي أن تستهدف المرأة المعاصرة جميع الشرائح والطبقات بما لا يهدر كرامتها، ولا يخدش حيائها، فإن ضاق عليها الزمن أو تعددت عليها المسؤوليات، وكثرت الواجبات، فالأقرب المحتاج أولى بالمعروف والدعوة .

٤ – مارست المرأة في -زمن النبوة – الدعوة عبر وسائل عـــدة، منـــها المباشر وغير المباشر، ومنها البلاغ بالكلمة والهدية، والتلطف بالقول، ومنها بذل المال والصلة، والبيعة والهجرة، وكان لها جهاد باللسان والسنان، وكما جاهدت المشركين فقد جاهدت المنافقين، ساهمت في محو الأمية فعلَّمَت الكتابة والقراءة، وكان لها إسهام في تعليم الكتاب والسنة .

٥ – واجهت المرأة – في زمن النبوة – مشكلات فتجاوزتها، ومصاعب وتحديات فلم تستسلم لها لامها أهلها على إسلامها وحاولوا ردها بعد هجرتها فلم يظفروا منها بشيء، وضربها القريب فكان صبرها سبباً في إسلام قريبـــها، وعُذِّبت فثبتت، وتعرضت للبلاء والفتنة فلم تفتتن، وربما اُستشهدت تحت وطأة التعذيب وهي راسخة الإيمان .. وكذلك طريق الدعوة لا يُفـــرش بـــالورد ولا يسلم من محن وإحن .. ولكن العاقبة للتقوى، وبذلك يعلم الله الصادقين مـــن الكاذبين وكلما أصاب المرأة المعاصرة من لأوى وعقبات في طريق الدعوة لا بد أن تتذكر الجيل الفريد وأن تقرأ في سير المؤمنات الأول .

٦ – تجاوزت المرأة في زمن النبوة بدعوتها الوطن والعـــشيرة، فحملـــت الدعوة إلى (الأحباش) و (الروم) ولم تكن قصراً على العرب، بل شملت بها العجم، ولم يكن (البر) المجال الوحيد لدعوتها، بل ركبت (البحر) غازية في سبيل الله وداعية للإسلام، وكان لها إسهامها في الدعوة في الـــسهل والجبـــل، والمدن والقرى، وكذلك ينبغي أن تبلغ الدعوة ما بلغ الليل والنهار، وفي عـــالم اليوم وسائل وآليات تقصر المسافات، وتبلّغ القريب والبعيد، وبإمكـــان المـــرأة المعاصرة أن تستثمرها لصالح الدعوة لدين الله .

٧ – نقلة الإسلام للمرأة نقلة كبيرة وشريفة، فبينا هي مغمورة محتقرة تُعضل وتؤد، إذ هي في الإسلام (شقائق الرجال) تُحترم وتقدر، وتساهم في البناء وتشارك في مجالات الحياة تستشار في المعضلات ويؤخذ برأيها، وتدعو إلى الله فيسلم (الصرم) بدعوتها وتُجير فتجار (لقد أجرنا من أجرت يا أم هاني) وتستأمن لزوجها فتقبل شفاعتها، ومع عظيم مشاركاتها وتعدد مجالات نفعها، لم تفقد أنوثتها، و لم تتخل عن حيائها وكرامتها، وكذلك يصنع الإسلام بالمرأة، يدعوها بل يشجعها على المشاركات الإيجابية، ويصونها عن مزالق الهوى ومراتع الشهوة الهابطة، وينأى بها عن مكان الريب، ومآثم الاختلاط والتبذل والعري .

ومن الجميل أن نختم هذا البحث بسؤال :

كيف تسهم المرأة بفاعلية في الدعوة ؟

وللإجابة نقول :

مع كثرة المسؤوليات وضيق الوقت، وعظم المسؤولية، نحتاج إلى الوصول للهدف بأقرب طريق وتحقيق أكبر نتائج بأقل تكلفة، وفي مشروع الدعوة للمرأة وتحقيق الفاعلية يمكن اقتراح ما يلي :

١) أن تحرص الداعية أن يكون المستفيد من جهدها أكبر قدر ممكن من النساء فالموضوع الذي يطرح في جلسة محدودة العدد يمكن أن يكون على هيئة محاضرة تكون فيه الدعوة عامة للنساء، ويمكن أن تطور هذه المحاضرة على هيئة مقال أو مقالات في جريدة أو مجلة، ثم تطبع في مطوية أو كتيب .

٢) ومن الأساليب الفاعلة في الدعوة : نشر المحاضرة أو الندوة النسائية في إحدى أو في عدد من مواقع (الانترنت) لتعم الفائدة بها .

٣) ومن أساليب تفعيل المرأة في الدعوة : أن تعتبر عملها في بيتها سهماً مهماً في مشاركتها في الدعوة، وتحذيرها لأطفالها لعدد من الممارسات الأخلاقية الخاطئة عنصراً آخر وسهماً من سهام الدعوة، وهذا ينبغي أن تشعر المرأة بممارسة الدعوة في محيطها القريب (مع الأولاد، والزوج، والوالدين، والأخوات) فالأقربون أولى بالمعروف ومن توجيهات القرآن ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾.

٤) كما أن إخلاص المرأة العاملة في عملها واستثمار وقتها في الدعوة يعد إسهاماً فاعلاً للمرأة .. وهو جهد ضائع أحياناً ووقت غير مستثمر أحياناً أخرى.

إن حسن تحضير المعلمة لدرسها وخدمته بقيم تربوية، وفتحه بقصة أو حكاية هادفة أسلوب تربوي في الدعوة، بل إن حسن خلق المعلمة في تعاملها مع طالباتها وزميلاتها هو في حد ذاته أسلوب ناجح في الدعوة دون كلفة، وهو كذلك يقال لأعمال في أعما المرأة الأخرى .

٥) ومن عوامل الإسهام بفاعلية في الدعوة لدى المرأة : المشورة بين النساء الداعيات واستفادة بعضهن من تجارب بعض، وترتيب الأدوار حتى لا يتكرر الجهد أو يُغَّلب جانب على حساب ضمور جوانب أخرى، فإن قلى العدد يمكن أن تعوض بتوزيع الجهد.

٦) استثمار التخصص في خدمة الدعوة، فثمة نساء يحضرن رسائل للماجستير أو الدكتوراه، ومن المهم استحضار شؤون المرأة.. في هذه الوسائل.. وما أكثرها.. والكتابة عنها.. وقبل ذلك حسن اختيار الموضوع.. ثم خدمته بطريقة علمية تعتمد على الاستبانات ولغة الأرقام .. والخروج من ذلك بنتائج وتوصيات تخدم الدعوة عموماً وقضية المرأة على وجه الخصوص، فالمرأة أقدر من غيرها في الكتابة عن شؤونها .

٧) التفكير الجيد في المؤسسات الدعوية رسمية كانت أو خيرية، وتنشيط الدعوة فيها، فالعمل المؤسسي واسع الانتشار، معتمد في الغالب على التخطيط والإدارة والتقارير، وتلك أمور مهمة في الدعوة، واقتراح المزيد منها في عدد من الجهات .

٨) تبني مواقع في الانترنت لدعوة المرأة، لأهمية تأثير هذه المواقع من جهة، ولوجود عدد من المواقع الموجهة للإساءة للإسلام والمسلمين بشكل عام، للمرأة على وجه الخصوص من جهة أخرى، ومع تبني مواقع جديدة، لا بد من دعم المواقع الجيدة القائمة .

٩) الإعلام النسائي (المتميز) بشكل عام بات مطلباً لدعوة المرأة، فالإعلام القائم.. في غالبه.. يتحكم في مستقبل المرأة، ويشكل فكرها وعقلها من منظور غربي وهو يريد أن يصوغ ممارستها واهتماماتها على غير ما نريد، فلا بد من البديل؟

لقد مضى زمن على الخيرين والخيرات مارسوا فيه التحذير من آثار هذا الإعلام ولا بد من أن ننتقل اليوم إلى خطوات عملية، ولنا أن نسأل : أين ركن

المرأة والأسرة في وسائل الإعلام.. من منظور يجسد إيلامنا.. ويعتمد على ثقافتنا؟

أين مجلة المرأة المسلمة ؟ أين.. أين..؟ أسئلة تحتاج إلى إجابة!!

١٠) والمرأة المتميزة بهيئتها ولباسها المحتشم وطريقة تفكيرها الأصيلة والواثقة، ومنطقها الحسن الممتلئ ثقة بالإسلام وعزة بتاريخ المسلمين، أعتقد أن هذه المرأة يمكن أن تكون وسيلةً صامتة للدعوة، لا تحتاج معها إلى (دعاية أو لافتة للدعوة) بل رؤية الأخريات لها بهذا السلوك المتميز والواثق والممثل للإسلام محل التقدير والتأثير.

وبالجملة فتلك وسائل فاعلة في الدعوة بمقدور المثقفة أو غيرها من النساء أن تمارس منها ما تستطيع فلا عذر لأحد، والدعوة مسؤولية الجميع، ومن هدي النبوة (بلغوا عني ولو آية) (والكلمة الطيبة صدقة) (وتبسمك في وجه أخيك صدقة) .

القسم الثاني :

النساء المناوئات للدعوة في عصر النبوة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده والصلاة والسلام على خير البرية، أكرمه الله بالرسالة، ووصفه بالحرص على أمته، والرأفة، والرحمة، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)]، جاهد في الله حق جهاده، وناله من أذى الخلق على اختلاف أجناسهم ذكوراً وإناثاً، عرباً وعجماً، ما تحمله في ذات الله، وكان أحسن الناس خلقاً، وأطيبهم تعاملاً، وأكثرهم رحمة وإحساناً،بشهادة الله له قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [(٢)]، وقال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[(٣)].

وبعد: فإن الحديث عن خصوم الدعوة في زمن النبوة يطول، ولكنني في هذا المبحث ركزت على فئة من الخصوم — قد يكون نصيبها من الدراسة قليلاً — وقد تكون العناية بصويحباتها أقل اهتماماً أو أكثر غموضاً.

والبحث في «النساء المناوئات للدعوة في عصر النبوة» هنا، لا يعني حصراً عددياً، ولا بياناً رقمياً دقيقاً لكل مناوئة للدعوة في عصر النبوة قدر ما يعني بيان

---

(١) سورة التوبة آية [١٢٨].

(٢) سورة القلم آية [٤].

(٣) سورة آل عمران آية [١٥٩].

نوع من المناوأة، ورصد نماذج للنساء المناوئات، تؤكد مشاركة المرأة للرجل في مناوئة الدعوة وعداوة الرسول ﷺ .

ويعني البحث بالإجابة على عدد من التساؤلات ومنها:

ما نوعية المناوئات للدعوة في عصر النبوة: مشركات، أم منافقات، أم كتابيات، أم كلهن؟

هل اقتصرت العداوة والمناوأة على غرائب النساء وذوات النسب والحسب في قومهن، أم شملت الجواري والموالي وأمهات الأولاد؟

وهل كانت المناوأةُ مقصورةً على المرحلة المكية، وفي حال ضعف المسلمين وقوة المشركين، أم جاوزتها إلى المرحلة المدنية، وفي حال عزِّ الإسلام وغلبة المسلمين؟

وهل حُصرت المناوأة في أرض الحجاز – عموماً – وما حولها، أم تجاوز نطاقها إلى خارجها، وأين كانت؟

ما موقف الرسول ﷺ من هؤلاء المناوئات، وهل اتفق أم اختلف أسلوبه في التعامل مع مناوأتهن، وما نهاية هؤلاء المناوئات؟

إلى غير ذلك من أسئلة، أرجو أن تجيب فصول البحث ومباحثه عنها، ويجد القارئ رصداً وجمعاً لها في خاتمة البحث ونتائجه.

وبكل حال فلئن كان البحث جديداً في تناوله – فيما ظهر لي – فقد اعتمدت مادته على المصادر الأساسية، بدءاً من آيات القرآن الكريم وتفسيرها

ومروراً بالنصوص في كتب السنة – وجاء التركيز على ما صح منها وشروحها– ووقوفاً عند مرويات كتب السيرة الأولى وما فيها من تفصيل قد لا يتوفر في غيرها، كما أفدت من كتب الطبقات والتراجم، والمبهمات، والأنساب، والمعارف العامة، نحوها، مما أرجو أن يوثق مادة البحث ويعمق دلالته.

على أنني أقف في نهاية هذه المقدمة مشيراً إلى أن مادة هذا البحث لا تمس كرامة المرأة المسلمة، ولا تقلل من شأنها، أو تضعف مشاركتها في الدعوة في عصر النبوة، بل إنني أعتقد أن تَصَيُّدَ مثل هذه النماذج المناوئة، يؤكد في المقابل على عظم دور المرأة في عصر النبوة، ومشاركتها الرجل في الجهاد والدعوة لدين الله، فالأصل أن المرأة شريكة الرجل في نصرة الدين ومحبة الرسول ﷺ ، وفي تراجم النساء في كتب الطبقات والتراجم والسير والتاريخ ما يؤكد هذا ويجليه، وإذا شذت بعض النسوة عن هذا فالعبرة بالأغلب الأعم، وحصر المناوئات في هذا العدد القليل مؤشر واضح على كثرة النساء المناصرات للدعوة في زمن النبوة، وهذا بدهي لا يحتاج لمزيد توضيح وإن لم يكن هو المقصود بالبحث فهو من نتائجه.

والله أسأل التوفيق والسداد وإقالة العثرات وتكفير السيئات.

الفصل الأول

المناوئات الأول للدعوة بمكة

المبحث الأول :

(أم جميل) حمالة الحطب

هي العوراء، وقيل أروى بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب عم النبي ﷺ وأخت أبي سفيان، وعمة معاوية بن أبي سفيان[١]، ويُقال أن العوراء لقب، ولم تكن كذلك، وإنما لُقبت به لجمالها[٢]. ولها من أبي لهب: عتبة، ومتعب، وعتيبة[٣].

ابتدأت عداوتها للدعوة مبكرة، في الفترة المكية، وقد سماها ابن إسحاق فيمن نصب العداوة لرسول الله ﷺ من قومه، ونزل فيهم القرآن، وفي «ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه الأذى» قال ابن إسحاق:... فمنهم من سُمي لنا، وفيهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن، عمه أبو لهب ابن عبد المطلب، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب[٤].

---

(١) انظر السهيلي: الروض الآنف (٣/٣٠٤)، ابن بشكوال: غوامض الأسماء المبهمة (١/١٩٠).

(٢) ابن حجر: الفتح (٨/٧٣٨).

(٣) ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (١/٤٣٥).

(٤) انظر ابن هشام: السيرة النبوية (١/٤٣٥).

خبرها في الكتاب والسنة:

وعداوة أم جميل للنبي ﷺ والدعوة أمر ثابت بالكتاب والسنة، فقد نزل فيها وفي زوجها سورة (المسد)، قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[١].

وفي صحيح البخاري (في سورة المسد) بوب البخاري: باب (وامرأته حمالة الحطب) وقال مجاهد: حمالة الحطب تمشي بالنميمة[٢]. قال ابن حجر: ووصله الفريابي عن مجاهد[٣].

وروى البزار بإسناد حسن عن ابن عباس قال: لما نزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: لو تنحيت، قال: إنه سيحال بيني وبينها، فأقبلت فقالت: يا أبا بكر: هجاني صاحبك، قال: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر، ولا يفوه به، قالت: إنك لمصدَّق، فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك؟ قال: مازال ملك يسترني حتى ولت[٤].

---

(١) سورة المسد كاملة، ابن هشام: السيرة النبوية (١/٤٣٥)، ابن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن (١٢/٧٣٥).

(٢) انظر: الصحيح مع الفتح (٨/٧٣٨).

(٣) الفتح (٨/٧٣٨).

(٤) الفتح (٨/٧٣٨).

وأخرجه الحميدي وأبو يعلى وابن أبي حاتم من حديث أسماء بنت أبي بكر بنحوه[١].

ما نوع عداوة أم جميل؟

وإذ ثبتت عداوة حمالة الحطب لدعوة الإسلام – بشكل عام – فقد ورد أكثر من تفسير لنوع هذه العداوة.

١-فقد ورد أنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق الرسول ﷺ، ليدخل في قدمه إذا خرج للصلاة، وقيل كانت تضعه للنبي ﷺ وأصحابه، وقيل: كانت تضعه بالليل[٢].

وقال ابن إسحاق: وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب؛ لأنها كانت – فيما بلغني – تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر[٣].

٢-وقيل إن العداوة معنوية، بما تنقله من كلام، وتنم بين المسلمين، وفي البخاري عن مجاهد: حمالة الحطب تمشي بالنميمة[٤].

وأخرج سعيد بن منصور من طريق محمد بن سيرين قال: كانت امرأة أبي لهب تنم على النبي ﷺ وأصحابه إلى المشركين[٥].

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (٨/٧٣٨).

(٢) انظر: الأقوال في ذلك وأصحابها عند الطبري في تفسيره (٢/٧٣٥، ٧٣٦).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٤٣٥).

(٤) الصحيح مع الفتح (٨/٧٣٨).

(٥) ابن حجر: الفتح (٨/٧٣٨).

وقال الفراء: كانت تنم فتحرش فتوقد بينهم العداوة، فكنى عن ذلك بحملها الحطب[١].

وقال ابن جرير: قيل لها ذلك (حمالة الحطب) لأنها كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة، وتعير رسول الله ﷺ بالفقر، ثم ساق الأقوال في ذلك[٢].

وانتهى مرجحاً الرأي الأول حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك[٣].

ومن هنا نعلم الخطأ الوارد في تفسير ابن كثير حيث قال: كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير[٤].

٣-وثمة نوع ثالث لعداوة أم جميل يتمثل في السخرية والشماتة بالنبي ﷺ فيما يعرض له، فقد أخرج البخاري في تفسير سورة الضحى بسنده إلى جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره

---

(١) المصدر السابق (٨/٧٣٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢/٧٣٦).

(٣) المصدر السابق (١٢/٧٣٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٩٤٨)، وتبعه على هذا الخطأ محقق الروض الأنف للسهيلي (٣/٣١٢) هامش(١).

قربك من ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾[١].

قال ابن حجر: هي أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب، وساق لذلك بعض الروايات، ثم قال: وقالته أم جميل شماتة[٢]، على أنه ورد عند البخاري رواية أخرى، وتختلف في بعض ألفاظها إذ جاء فيها: قالت امرأة يارسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك فنزلت : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾[٣].

وهناك فوارق في عبارات الروايتين لمن تأمل، ولذا قال ابن حجر – تعليقاً على هذه الرواية – هذا السياق يصلح أن يكون خطاب خديجة، دون الخطاب الأول فإنه يصلح أن يكون خطاب حمالة الحطب...[٤].

وقال ابن حجر – أيضاً – في سبيل الجمع بين الروايتين: فالذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل عبَّرت لكونها كافرة بلفظ شيطانك، وخديجة عبرت لكونها مؤمنة بلفظ ربك أو صاحبك وقالت أم جميل شماتة، وخديجة توجعاً[٥].

---

(١) سورة الضحى الآيات [١ – ٣]، الصحيح مع الفتح (٨/٧١٠) ح (٤٩٥٠).

(٢) الفتح (٨/٧١٠، ٧١١).

(٣) الصحيح مع الفتح (٨/٧١١) ح (٤٩٥١).

(٤) الفتح (٨/٧١١).

(٥) المصدر السابق (٨/٧١١).

٤- بل تجاوزت – حمالة الحطب – في عداوتها إلى محاولة ضرب النبي ﷺ بالحجارة، قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فِهرٌ[١] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت يا أبا بكر: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، أما والله إني لشاعرة ثم قالت:

مذمَّمٌ عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا.. [٢]

وساق ابن بشكوال رواية مسنده إلى أسماء بنت أبي بكر بنحو من رواية ابن إسحاق السابقة[٣] وساقها ابن كثير ونسبها إلى أبي يعلى الموصلي[٤].

وزاد ابن بشكوال في رواية: تعثرت أم جميل وهي تطوف بالبيت في مِرطها فقالت: تعس مذمم، فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إني لَحصَان فما أُكَلَّم، وثَقَافٌ فما أعَلَّم، فكلتانا من بني العم ثم قريش بعد أعلم[٥].

---

(١) الفِهر: الحجر في مقدار ملء الكف.

(٢) ابن هشام: السيرة (١/٤٣٦).

(٣) غوامض الأسماء المبهمة (١/١٩١، ١٩٠).

(٤) تفسير ابن كثير (لآية الإسراء/٤٥) (٣/٧٣).

(٥) المصدر السابق (١/١٩١).

٥-ومن مناوأة (أم جميل) إيذاء الرسول ﷺ في أهل بيته، فقد أمرت مع زوجها أبي لهب ابنيها بطلاق بنتي رسول الله ﷺ ، وقالت لهما: إن رقية، وأم كلثوم صبتا، فطلقاهما قبل الدخول[١].

نهايتها ومعجزة النبوة:

وبعد فليس يخفى أن (أم جميل) ماتت وهي مناوئة للدعوة، ولم تُسلم، بل كان موتها على غير الإسلام تصديقاً لنبوة محمد ﷺ الذي أوحى إليه ربُّه أنها وزوجها في النار، وهم بعد على قيد الحياة، قال تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[٢].

قال القرطبي: والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة (الوفاة) فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما، ففيه معجزة للنبي ﷺ[٣].

---

(١) ابن حجر: الإصابة (٢٧٦/١٣)، وعلق ابن حجر على هذا بقوله: وهذا - يعني الطلاق قبل الدخول - أولى مما ذكر أبو عمر (ابن عبدالبر) تبعاً لابن سعد أن ولدي أبي لهب تزوجا رقية وأم كلثوم قبل البعثة فإنه فيه نظر..

(٢) سورة المسد آية [٣ - ٥].

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة المسد) (٢٤٣/٢٠).

المبحث الثاني :

(أم سعد بن أبي وقاص)

واسمها: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ابنة عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، وقيل: حمنة بنت أبي سفيان ابن أمية[١]. عدَّها ابن حبيب من المنجبات من النساء، وذكر لها من الولد: (سعداً) مجاب الدعوة، (عميراً) شهيداً ببدر، (عامراً) من مهاجرة الحبشة[٢].

وتُعد (حمنة) من المناوئات الأول للدعوة، فابنها سعد قديم الإسلام، حتى قال عن نفسه: «لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام» [٣] ويقول: «ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام» [٤] وذكره ابن إسحاق في أوائل المؤمنين[٥] وكانت أمه (حمنة) جاهدة في صده عن الإسلام – وإن لم تدرك من ذلك شيئاً – فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن مصعب بن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ

---

(١) انظر: ابن سعد: الطبقات (١٣٧/٣)، (١٢٣/٤)، (١٢/٦)، ابن حبيب: المحبر ص (٤٥٩)، ابن الأثير: أسد الغابة (٣٦٦/٢)، ابن حجر في الإصابة (١٦٠/٤)، ووقع عنده حمزة بدل حمنة، وهو تصحيف، فقد ذكر اسمها في الفتح (حمنة) (٤٠٠/١٠).

(٢) المحبَّر ص (٤٥٩)، وانظر: الحاكم: المستدرك (٤٩٧/٣).

(٣) صحيح البخاري في فضائل سعد (٢١٢/٤).

(٤) المصدر السابق (٢١٢/٤، ٢٤٠)، في باب إسلام سعد.

(٥) انظر: السيرة لابن هشام (٣١٧/١)، وقد ذكره فيمن أسلم بدعوة أبي بكر الصديق .

سَعْد أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدينه، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ (عُمَارَةُ)، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى (سَعْدٍ)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾ وَفِيهَا ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[1].

وبوّب البخاري في كتاب الأدب: باب البر والصلة، وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ ثم ساق حديثاً عن ابن مسعود وفيه الترغيب ببر الوالدين، دون الإشارة إلى سعد وأمه[2].

ولكن ابن حجر في شرحه للحديث نقل قول ابن بطال: ذكر أهل التفسير أن هذه الآية التي في لقمان نزلت في سعد بن أبي وقاص ثم تعقبه بأن الآية ليست في لقمان – بهذا النص – لكن ابن حجر أورد الرواية السابقة في صحيح مسلم عن سعد وأمه[3].

مما يشعر ميل ابن حجر إلى ربط الآيات بسعد وأمه. وفي الأدب المفرد ربط البخاري بين الآية وسعد وأمه فقد روى عن سعد بن أبي وقاص قال: فيَّ

---

(١) صحيح مسلم (١٨٧٧/٤) ح (١٧٤٨) في فضائل الصحابة، والآية المشار إليها في العنكبوت وإن رُمز إليها في مسلم بـ لقمان فإن آية لقمان ليس فيها (حسناً) بل قال ابن حجر أن في نص مسلم انتقال من آية (يعني في سورتي العنكبوت ولقمان) انظر: الفتح (٤٠٠/١٠).

(٢) الصحيح مع الفتح (٤٠٠/١٠) ح (٥٩٧٠).

(٣) الفتح (٤٠٠/١٠).

أربع آيات من كتاب الله تعالى، كانت أمي حلفت أن لاتأكل ولا تشرب حتى أفارق محمداً ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1]. وهو من صحيح أحاديث الأدب المفرد[2].

وتضيف رواية داود بن أبي هند عن عثمان النهدي – معلومات أخرى عن موقف سعد من إصرار أمّه على تركه لدينه، رغم بره بها، وقد جاء فيها أن سعداً قال: نزلت هذه الآية فيَّ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، فقال: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني قال: فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد جهدت، فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فلما رأت ذلك أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية[3].

---

(١) سورة لقمان آية [١٥].

(٢) الألباني: صحيح الأدب المفرد للبخاري ص (٤٠).

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣٦٨/٢). والذهبي: في سير أعلام النبلاء (١٠٩/١، ١١٠) ونسبة إلى أبي يعلى في مسنده، وعزاه المحقق إلى مسلم، و لم أجد في هذه الرواية، وإنما ذكر مسلم الرواية السابق ذكرها.

وبالتتبع نجد أن سعداً ليس الابن الوحيد الذي نقمت عليه أمّه (حمنة) لإسلامه، وناوأت دعوته، فقد روى لنا ابن سعد موقفاً آخر – لا يقل شدة – مع ابنها (عامر) كانت سبباً في هجرته للحبشة والرواية عن الواقدي قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أسلم عامر بن أبي وقاص بعد عشرة فكان حادي عشر، فلقي من أمه ما لم يلق أحد من قريش من الصياح به والأذى حتى هاجر إلى أرض الحبشة[١]. وخبر مناوأتها كان مشهوراً عند الناس.

فثمة رواية أخرى عن الواقدي – أيضاً – قال: حدثني عبد الله ابن جعفر عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال: جئت من الرمي فإذا الناس مجتمعون على أمي حمنة.. وعلى أخي عامر، حين أسلم، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: هذه أمك قد أخذت أخاك عامراً، تُعطي الله عهداً ألا يظلها ظلٌّ ولا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى يدع الصباوة، فأقبل سعد حتى تخلّص إليها فقال: عليَّ يا أمه فاحلفي، قالت: لِم؟ قال: لأن لا تستظلي في ظل، ولا تأكلي طعاماً، ولا تشربي شراباً حتى تري مقعدك من النار، فقالت: إنما أحلف على ابني البر، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾[٢].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١٢٣/٤)، قلت ذكر ابن إسحاق (عامر) من مهاجرة الحبشة انظر: السيرة لابن هشام (٤٠٢/١).

(٢) المصدر السابق (١٢٣/٤، ١٢٤).

هل أسلمت حمنة؟

وبعد هذا القدر من الرصد لمناوأة (حمنة) للدعوة، يظل السؤال هل استمرت في مناوأتها أم عادت إلى رشدها وأسلمت؟ لم أجد لها ترجمة في مشاهير كتب الطبقات والتراجم تفيد إسلامها، ولم تُعد في الصحابيات، وهذا مؤشر إلى موتها على غير الإسلام وبهذا قطع الحافظ ابن حجر فقال: ولم أر في شيء من الأخبار أنها أسلمت[1].

وبهذا تنضم (حمنة) إلى (حمالة الحطب) في المناوأة للدعوة حتى الممات.

---

(١) الفتح (١٠/٤٠٠، ٤٠١).

المبحث الثالث :

(أم مصعب بن عمير)

خُنَاس بنت مضرِّب، واسمه وهب بن عمرو بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي[١].

ولها من الولد – غير مصعب – أبو عزيز: زرارة بن عمير، شهد بدراً مع المشركين، وقيل أسلم بعد ذلك، وعدّه ابن عبد البر، وابن حجر وغيرهم من الصحابة[٢]، وأنكر بعضهم صحبته، وقال: إنه مات مشركاً في أحد[٣].

وهند بنت عمير (أم شيبة بن عثمان)[٤] وأم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[٥] وأخو (خناس) أبو خناس بن مالك، شيبة بن مالك بن مضرِّب شهد بدراً معه المشركين[٦].

---

(١) ابن حبيب: المحبر ص (٤٠٠)، ابن سعد: الطبقات الكبرى (١١٦/٣).

(٢) انظر: ترجمته في الاستيعاب رقم (٣٠٩١) وغلّط من زعم موته كافراً، وفي الإصابة ترجمة (٧٥٤) (٢٥٤/١١).

(٣) أمثال ابن عبدالله الزبيري: نسب قريش ص (٢٥٤)، وأمثال: ابن الكلبي، وأبي عبيد والبلاذري، والدار قطني (انظر: المصدرين السابقين).

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة (٥٤/١٢) ترجمة (٣٠٩١).

(٥) المحبر ص (٤٠٠).

(٦) المحبر ص (٤٠١).

وأخوها الآخر عبد الله بن سهيل بن عمرو بن العاص بن عبد شمس – ولعله أخوها لأمها – شهد بدراً مع الرسول ﷺ[١].

كانت أمُّ مصعب (خُنّاس) امرأةً مليئة كثيرة المال، وكانت تهتم بابنها مصعب وتكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطرَ أهلِ مكة، يلبس الحضرمي من النعال[٢].

قال ابن حجر: وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي أن رسول الله ﷺ بكى حين رأى ما صار إليه مصعب بعد النعمة التي كان فيها[٣].

وعند الحاكم؛ وكانت أم مصعب تكسوه أحسن مايكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حُلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير[٤].

ولهذه النعمة التي التي كان فيها مصعب، والحنان الذي كان يحيط به ظهر التأثر عليه في الشدائد التي واجهها حين أسلم وهاجر، حتى قال سعد بن أبي وقاص – وهو يتحدث عن هجرة الحبشة – فلما أصاب – مصعب – ما أصابنا لم يقو على ذلك، فلقد رأيته وأن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحيَّة، ولقد رأيته يتقطع فما يستطيع أن يمشي فنعرض له القسي ثم نحمله على عواتقنا.

---

(١) المصدر السابق (٤٠١).

(٢) ابن سعد: الطبقات (١١٦/٣).

(٣) الإصابة (٢٠٩/٩).

(٤) المستدرك (٢٠٠/٣)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وفي الرواية نفسها يشير سعد إلى ظروفهم قبل الهجرة فيقول: كنا قبل الهجرة يصيبنا ظلف العيش وشدته فلا نصبر عليها، فما هو إلا أن هاجرنا، فأصابنا الجوع والشدة فاستضلعنا بهما وقوينا عليهما، فأما مصعب...[١].

موقف أم مصعب من الإسلام:

وإذا تضافرت المرويات على حنان أم مصعب لابنها، فقد انقلب ذلك إلى شدة وتسلط حين بلغها إسلام مصعب.

روى ابن سعد بسنده عن الواقدي أن مصعب حين أسلم كتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فلما بلغهم إسلامه أخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ولم تكف أمّه عن عذله حتى رجع من الحبشة متغير الحال قد حَرَج يعني غلظ[٢].

وتفيد – رواية أخرى – استمرار (أم مصعب) على كرهها لإسلام ابنها – بعد الهجرة للمدينة، ومحاولتها صرفه عن ذلك بل وتهديده بالحبس، ولما يئست من استجابته لها، أصرّت هي، بل أقسمت بالبقاء على دينها، وهنا حوار معبِّر جرى بين مصعب وأمه حين قدم من المدينة مخبراً رسول الله ﷺ عن إسلام الأنصار، وقد جاء فيه: وبلغ أمه أنه قدم فأرسلت إليه: ياعاق أتقدم بلداً

---

(١) رواه ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، انظر: السير والمغازي لابن إسحاق – تحقيق سهيل زكار ص (١٩٣)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٨/١)، وقال محققه: رجاله ثقاب، إلا أن صالح بن كيسان لم يدرك سعد بن مالك.

(٢) الطبقات (١١٦/٣)، وانظر: الاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الإصابة) (٢٥٢/١٠).

أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ فلما جاء إليها قالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد؟ قال: أنا على دين رسول الله ﷺ ، وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، قالت: ما شكرْتَ ما رثيتُك مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال: أفرُّ بديني أن تفتنوني، فأرادت حبسه، فقال: لئن أنت حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي، قالت: فاذهب لشأنك، وجعلت تبكي، فقال مصعب: يا أمه إني لك ناصح عليك شفيق، فاشهدي أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيُزرى برأيي، ويُضعف عقلي، ولكني أدعك وما أنت عليه، وأقيم على ديني[١].

هذا الحوار كما يظهر منه مناوءة (خُنّاس) للدعوة ممثلاً في إسلام ابنها (مصعب) ولنا أن نفهم منه بقاء خناس على ذلك حتى ماتت، وقد قالت: (وأقيم على ديني).

و لم أقف في شيء من التراجم على إسلام أم مصعب – والله أعلم – بل ذكر ابن إسحاق، والبلاذري اسم (خناس) ضمن قائمة اللاتي خرجن مع المشركين في غزوة أحد[٢]. وهي المعركة التي استشهد فيها ابنها مصعب .

---

(١) ابن سعد: الطبقات (١١٩/٣)، عن الواقدي.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٩٠/٣)، أنساب الأشراف – تحقيق محمد حميد الله، الجزء الأول ص (٣١٣).

الفصل الثاني

مناوئات أسلمن وحسن إسلامهن

لئن استمرت بعض النساء في مناوأتها للدعوة حتى ماتت – كما سلف – فثمة نموذج لنساء، شاء الله لهن أن يناوئن الدعوة، ويؤذين رسول الله ﷺ فترة من الزمن، ثم أسلمن وكن في عداد المسلمات المجاهدات، والتوبة تجب ما قبلها، والإسلام يهدم ما قبله ولولا السياق التاريخي، والرصد لنماذج من المناوئات – ولو فترة من عمر الدعوة – ما سقت هذه النماذج في المناوئات للدعوة ولكني تقصدت بعنوان المبحث – هنا – أن أميزهن عن غيرهن ممن بقين في المناوأة حتى آخر لحظة من حياتهن.

وأكتفي – هما – بإيراد نموذجين، تمثل الأولى مناوأةً للدعوة من داخل مكة وتدين بالوثنية (دين قريش).

وتمثل الأخرى مناوأةً للدعوة من خارج مكة وتنتمي للديانة النصرانية وتُعد من أهل الكتاب.

المبحث الرابع :

(هند بنت عتبة)

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن منـــاف زوج أبي ســـفيان، وأم معاوية }[١]، عقيلة قريش، وذات النسب والأروقة في الجاهلية، وزادها الإسلام شرفاً وفضلاً.

خبر مناوأة هند:

ويكفي للتأكيد على مناوأتها للدعوة وبغضها للرسول ﷺ – فترة مـــن حياتها – أن تقف على نص في الصحيحين تكشف به هند عن حالها في مرحلة من مراحل حياتها وتقول للنبي ﷺ: «يارسول الله ما كان على ظهـــر الأرض من أهل خباء أحبَّ إليَّ أن يَذلُّوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهـــر الأرض أهل خباء أحبَّ إليَّ أن يعزُّوا من أهل خبائك، قال ﷺ: وأيضاً والذي نفس بيده...»[٢].

وإذا كانت دلالة النص ظاهرة، وبيانه لدرجة المناوأة – في فترة من حياتهـــا – جلية، فقد جاءت كتب السير، والتراجم لتفصل هذا الإجمال، وتبين نوع المناوأة.

---

(١) انظر: الطبقات (٨/٢٣٥)، المحبر ص (١٩)، الإصابة (١٣/١٦٥).

(٢) انظر: الصحيح مع الفتح (٧/١٤١) ح (٣٨٢٥)، وصحيح مسلم (٢/٦٠، ٦١).

نماذج من المناوأة:

وروى ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله – في خبر الصحيفة – أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً فقال: يابنت عتبة. عل نصرت اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة[١].

والنص يكشف عن مناوأة مبكرة لـ (هند) في الفترة المكية، لكن إسناد الرواية فيه ضعف[٢].

ويكشف لنا نص آخر عداوة (هند) للنبي ﷺ ودعوته إجمالاً حتى أسلمت، ويقول الواقدي عن عمر بن عبد العزيز، قال سمعت مولاة لمروان بن الحكم تقول: سمعت هند بنت عتبة بن ربيعة تقول، وهي تذكر رسول الله ﷺ فتقول: أنا عاديته كلَّ العداوة، وفعلت يوم أحد ما فعلت من المُثلى بعمه وأصحابه، وكلما سيَّرت قريش مسيرة فأنا معها بنفسي أو معينة لقريش، حتى أن كنت لأعين كلَّ من غزا إلى محمد، حتى تجردت من ثيابي، فرأيت في النوم ثلاث ليالٍ ولاءً بعد فتح مكة، رأيت كأني في ظلمة لا أبصر سهلاً ولا جبلاً، وأرى تلك الظلمة انفرجت عليَّ بضوء كأنه الشمس، وإذا رسول الله ﷺ يدعوني، ثم رأيت الليلة الثانية كأني على طريق يدعوني، وإذا هُبل عن يميني

---

(١) السيرة لابن هشام (٤٣١/١).

(٢) مع كون ابن إسحاق صرح بالتحدث فقد روى الخبر عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس، وهو ضعيف كما في التقريب (١٧٦/١).

يدعوني، وإذا أساف عن شمالي يدعوني، وإذا برسول الله ﷺ بين يديَّ يقول: هلمي إلى الطريق، ثم رأيت الليلة الثالثة كأني واقفة على شفير جهنم يريدون أن يدفعوني فيها، وإذا بهبل يقول: أدخلوها فالتفتُّ فأنظر رسول الله ﷺ من ورائي آخذ بثيابي فتباعدت من شفير النار فلا أرى النار، ففزعت فقلت: ما هذا، وقد تبين لي، فغدوت من ساعتي إلى صنم في البيت كنَّا نجعل عليه منديلاً، فأخذت قدوماً فجعلت أفلذه وأقول: طالما منك في غرور، وأسلمت[١].

وفي غزوة بدر نجد ذكراً لهند – عند ابن سعد – تهجو أخاها (أبا حذيفة) البدري، حين دعا أباه عتبة بن ربيعة إلى المبارزة –في بدر– وتقول:

الأحول الأثعل المشؤوم طائره أبو حذيفة شر الناس في الدين

أما شكرت أباً رباك من صغر حتى شببت شباباً غير محجون[٢]

أما في غزوة أحد فخبر (هند) وموقفها مع المشركين حين خرجت معهم – ومعها غيرها من النساء – فمشهور، وإن كان في بعض هذا المشتهر عن (هند) ولاسيما في التمثيل بحمزة، كلام سآتي على بيانه.

---

(١) انظر: الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣٨١/٥)، وقد بحثت عن الخبر في معازي الواقدي – في فتح مكة وإسلام هند – فلم أجده و لم أجده كذلك في ترجمة هند في الطبقات لابن سعد.

(٢) الطبقات الكبرى (٨٥/٣)، وقد رواه ابن سعد عن شيخه الواقدي بسنده إلى أبي الزناد، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٥/١، ١٦٦).

ثبت في صحيح البخاري مشاركة بعض نساء المشركين في غزوة أحد، حتى قال البراء وهو يصف هروب المشركين – في بدء المعركة – حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل[١].

وعند ابن إسحاق – من حديث الزبير نص على (هند) فقال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون إحداهن قليل ولا كثير[٢].

وأحصى ابن إسحاق من نساء المشركين في أحد ثماني نسوة وهند في مقدمتهن[٣] وأوصلهن غير ابن إسحاق إلى خمس عشرة امرأة[٤].

وقال ابن سعد: فأجمعت (قريش) على إخراج الظُّعن، يعني النساء معهم ليذكرهم قتلى بدر، فيحفظنهم فيكون أحدَّ لهم في القتال[٥].

ونقل ابن إسحاق مشاركة (هند) للمشركين في أحد، وذلك بتهييج حمية المشركين وتحريضهم على المسلمين بالشعر، فكانت تقول والنسوة معها:

ويهاً بني عبدالدار وبها حماة الأدبار

ضرباً بكل بتَّار[٦]

---

(١) انظر: الصحيح مع الفتح (٣٤٩/٧) ح (٤٠٤٣).

(٢) انظر: الفتح (٣٥٠/٧).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام (٨٩/٣، ٩٠).

(٤) ابن حجر: الفتح (٣٥٠/٧).

(٥) الطبقات الكبرى (٣٧/٢).

(٦) انظر: السيرة لابن هشام (٩٨/٣ – ٩٩).

وقالت حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعت وفي نفسي بلابــل جَّمــة وقد فاتني بعض الذي كان مطلــبي
من أصحاب بــدر مــن قــريش بني هاشم منهم ومن أهل يثــرب
ولكني قد نلــت شــيئاً ولم يكــن كما كنــت أرجــو في مــسيري

قال ابن هاشم: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها:

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

وبعضهم ينكرها لهند، والله أعلم(١)، كما أُنكر شعر منسوب لها في بدر(٢).

وبكل حال فإذا ثبت خروج هند مع المشركين إلى أحد، ومشاركتها بأي نوع من المشاركة فالذي يدور الخلاف في تمثيلها بحمزة .

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة – كما حدثني صالح بن كيسان – والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يُجــدَّعن الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خــدماً وقلائــد... وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت صخرة وقالت في ذلك شعراً ومنه قولها:

شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري(٣)

---

(١) المصدر السابق (٣/٢٤٠ – ٢٤١).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٣/٧٥ – ٥٨).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٣٢ – ١٣٣)، ولكن الخبر فيه انقطاع في الإسناد.

وممن ذكر تمثيل هند بحمزة. الواقدي[١] وقال: إنها أول من مثَّل بأصحاب النبي ﷺ ، وأمرت النساء بالمثل. وابن سعد[٢] والطبري[٣] وابن عساكر[٤] وابن حجر[٥].

وثمة آخرون شككوا في هذه الحادثة، ففي الطبقات: وهذه شدائد على هند المسكينة[٦]، وعند ابن عساكر: وهذه الشديدة على هذه المسكينة[٧]، وذكر موسى بن عقبة أن الذي بقر عن كبد حمزة وحشي فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها، فالله أعلم[٨].

وشك السهيلي في كون هند هي التي فعلت بحمزة ما فعلت أو غيرها، وقبله ابن عبد البر[٩] وممن ضعف القصة هزاع الشمري، بل ضعف قصة التمثيل بحمزة أصلاً، وذلك على أثر عرض المرويات ومناقشتها، ونقل كلام العلماء[١٠].

---

(١) المغازي (٢٧٤/١).

(٢) الطبقات (١٢/٣).

(٣) تاريخ الأمم والملوك (٥٢٤/٢).

(٤) تاريخ مدينة دمشق – تراجم النساء (٤٤٦).

(٥) الإصابة (١٦٥/١٣).

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١٣/٣).

(٧) تاريخ مدينة دمشق ص (٤٤٦).

(٨) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٤٣/٤).

(٩) الإستيعاب (بهامش الإصابة) (١٨٠/١٣).

(١٠) عقلية قريش: هند بنت عتبة ص (٣٦ – ٣٧)، وانظر بحثه كاملاً في الموضوع ص (٢٥ – ٤٣).

أما بعد أحد فكانت -كما يقول ابن حجر- تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها وأسلمت[١].

ومن عجب مناوأة هندٍ لزوجها، وفي فتح مكة كان لها موقف مناوئ مع زوجها أبي سفيان حين استصرخ قريشاً ودعاهم لطاعة محمد ﷺ ذكره ابن إسحاق بقوله: «... حتى إذا جاءهم - أبو سفيان - صرخ بأعلى صوته، يا معشر قريش: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحَمِيت الدسم الأحمس، قُبِّح من طليعة قوم، قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم...»[٢].

وذكرها الحاكم كما نقل الحافظ ابنُ حجر فيمن أهدر النبي ﷺ دمها يوم الفتح[٣]، كما ذكرها الواقدي[٤]، وعنه الطبراني[٥]، على حين أغفل ذكرها ابن هشام[٦].

---

(١) الإصابة (١٣/١٦٥).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٤/٦٦)، ذكره ابن إسحاق دون إسناد.

(٣) الفتح (٨/١٢).

(٤) المغازي : (٢/٨٢٥) .

(٥) تاريخ الطبري : (٣/٥٨-٦٠) .

(٦) السيرة النبوية : (٤/٢٠-٢١) .

ولكن الإسلام يجب ما قبله[١]، بل جاءت كما سبق تُشهد الرسول ﷺ على محبتها إياه بعد أن كانت من أعدائه، واستمرت على صدق إسلامها بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان لها في يوم اليرموك ذكر مشهور[٢] حتى توفيت رضي الله عنها في خلافة عمر رضي الله عنه.

(١) ولئن استمرت (هندُ) في مناوأتها حتى (الفتح) فقد كان هذا التأريخ كذلك نهايةً لمناوأتها، وبدايةً لإسلامها، فقد ذكر ابن سعدٍ إسلامها يوم الفتح واعترافها بالحق حين تقول: يارسول الله: الحمدُلله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه... الطبقات (٢٣٦/٨)، وانظر صحيح البخاري : ح٣٨٢٥، وفتح الباري : (١٤١/٤) .

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٤٣٨)، البلاذري: فتوح البلدان (١٤١).

المبحث الخامس :

(أم أبي هريرة)

هي أميمة بنت صبيح بنت الحارث بن أوس[١].

ويقال: ميمونة بنت صبيح، قاله الطبراني[٢] وغيره[٣] وعند ابن سعد: وأم أبي هريرة ابنة صفيح بن الحارث بن شابي بن أبي صعب ابن هُنَيَّة بن سعد ابن ثعلبة بن سليم بن فهم ابن غنم بن دوس[٤].

بوب البخاري في أدبه المفرد: باب عرض الإسلام على النصرانية ثم ساق الحديث عن أبي هريرة : «ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني، إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها، فأبت فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها، فدعا، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة! إني أسلمت فأخبرت النبي ﷺ ، فقلت: ادع الله لي ولأمي، فقال: اللهم عبدك أبو هريرة وأمه أحِبَّهما إلى الناس» وهو من صحيح الأدب المفرد[٥].

---

(١) ابن بشكوال: غوامض الأسماء المبهمة (٤٧٧/١ – ٤٧٨)، ابن حجر: الإصابة (١٣٦/١٢)، وقال ابن حجر: اختلف في اسمها، فجاء عن أبي هريرة أنه ابن أميمة...

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٥٧٩/٢).

(٣) ابن حجر: الإصابة (١٣٦/١٢).

(٤) الطبقات (٣٢٥/٤).

(٥) انظر: صحيح الأدب المفرد، للألباني ص (٤٤ – ٤٥).

قال (فضل الله لجيلاني) في تعليقه على تبويب البخاري وقوله (النصرانية) قال: ظاهر صنيع الإمام البخاري أن أم أبي هريرة كانت نصرانية[١].

وجاء في صحيح مسلم بأطول من هذا، وأبين في نوع المناوأة للرسول ﷺ، وأنها كانت مشركة، وفيه عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمِّي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئتُ فصرت إلى الباب، فإذا هو مُجافٌ، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت يا رسول اله: أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال: قلت يارسول الله: ادع الله أن يُحَبِّبَنى أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويُحبِّبَهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ، اللهم حبّب عُبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين، فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[٢].

---

(١) فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد (١/١٠٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم مع شرح النووي (١٦/٥١ – ٥٢).

وهكذا يظهر من الرواية مناوأة أم أبي هريرة، وشدتها على الرسول ﷺ بادئ الأمر، ثم عودتها عن ذلك وإعلانها الإسلام، بفضل الله أولاً ثم بدعاء الرسول ﷺ لها ثانياً، وحرص ابنها على هدايتها وطلبه من الرسول ﷺ أن يدعو لها ثالثاً وكان بها باراً.

وليس في الرواية ما يشير إلى كونها نصرانية، بل جاء النصُّ على أنها (مشركة) إلا إن أمكن تفسير هذا الشرك بالنصرانية، كما يُفهم من تبويب البخاري في الأدب المفرد.

وإذا شملت المحبة لأبي هريرة، وأمه (اليهود والنصارى) كما في نص (البخاري) فهي مقصورة في رواية (مسلم) على عباد الله المؤمنين وهي كذلك في رواية أحمد[1]، إلا إن أمكن تفسير رواية البخاري، بأن القصد: باليهود والنصارى المؤمنون منهم.

وعلى كل حال – فلا تُسعف المصادر – التي وقفت عليها – بمزيد تفصيل عن مناوأة أم أبي هريرة للدعوة، بأكثر مما ذكرت ولعله لا يوجد لها شيء يذكر سوى هذا.

وهذا القدر القليل، إضافة إلى إسلامها – والإسلام يجب ماقبله – يمكن أن يكون مبرراً لعدم ذكرها في المناوئات، لولا ماسبقت الإشارة إليه من ذكر نماذج للنساء، وإن تفاوتت في مناوأتها للدعوة، واختلفت في نهاياتها.

---

(١) انظر: الإصابة (١٢/٧١ – ١٣٧).

وأمر آخر – يمكن أن يفيد من ذكر هذه النماذج – وهو بيان عظمة الإسلام، وقدرة الرسول ﷺ على التأثير على خصومه ولو بعد حين، وأن المناوأة للدعوة فترة لا تعني البقاء بكل حال حتى الممات على هذه المناوأة –كما في هذين النموذجين.

ومن خلال عرض موقف أم أبي هريرة المنكر للإسلام، والشديد على الرسول ﷺ – في البداية – يمكن كذلك أن يلحظ استمرار المناوأة من النساء بعد ظهور الإسلام وغلبة المسلمين، فمن المعلوم أن قدوم أبي هريرة على الرسول ﷺ بعد فتح خيبر[١] وهو تاريخ متأخر جداً إذا ما قورن بحرب الدعوة بمكة، أو على الأقل في المدينة في أوائل الهجرة والاستقرار في المدينة، واللافت للنظر أن مثل ذلك يقع بعد غزوة بدر وهزيمة المشركين، وما تلاها من معارك، تُوِّجت بإجلاء اليهود عن المدينة، بل ومطاردتهم خارجها، كما في غزوة خيبر.

ومما يلحظ في الحديث عن أم أبي هريرة أنك لاتجد تفصيلاً في حياتها، ولا في نهايتها – ومعظم التركيز على إسلامها – وأعجب من ذلك أن بعض كتب التراجم المشهورة لم تترجم لها، فليس لها ترجمة عند ابن عبد البر في الاستيعاب و لم أجد في فهرس أعلام النبلاء للذهبي إشارة إلى الترجمة لها، سوى إشارات لها في ترجمة ابنها (ابي هريرة).

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ (٣/١٦٠ – ١٦١)، وانظر: الرواية في صحيح البخاري عن أبي هريرة (افتتحنا خيبر..) وتعليق ابن حجر عليها، الصحيح مع الفتح (٧/٤٨٧) (ح ٤٢٣٤)، الفتح (٧/٤٨٨).

المبحث السادس :

(أم قِرفَة)

فاطمة بنت ربيعة بن بدر من بني فزارة وقد ذكر بن إسحاق[١]، والواقدي[٢]، وابن سعد[٣] سرية زيد بن حارثة إلى أم قِرفة. بوادي أم القرى[٤] في السنة السادسة للهجرة.

وذكر في كيفية قتلها ومن قتلها، أن الذي قتلها: قيس بن المُحسِّر وقد قتلها قتلاً عنيفاً، ربط بين رجليها حبلاً، ثم ربطها بين بعيرين، زجرهما فذهبا فقطَّعاها وهي عجوز كبيرة[٥].

وتحدد بعض المصادر مكانتها في قومها فيقول الصالحي: وهي عجوز كبيرة كانت في بيت شرف من قومها، وكانت العرب تقول: لو كُنتَ أعز من أم قِرفة ما زدت؛ لأنها كانت تعلق في بيتها خمسين سيفاً كلهم لها ذو محرم، وكان لها اثنا عشر ولداً كما في الزهر الباسم، كنيت بابنها قِرفة قتله النبي ﷺ ، وسائر بنيها قتلوا مع طليحة في الردة، فلا خير فيها ولا بنيها[٦].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: (٦١٧/٢).

(٢) المغازي (٥٦٤/٢ – ٥٦٥).

(٣) الطبقات (٩٠/٢).

(٤) بين المدينة وتبوك وأعظم مدنه اليوم (العلا) سمي بذلك لكثرة قراه (محمد حسن شرات: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة/٢٢٤).

(٥) الواقدي: المغازي (٥٦٥/٢) ابن سعد: الطبقات (٩٠/٢).

(٦) سبيل الهدى والرشاد (١٥٨/٦).

أما عن سبب قتلها ونوع مناوأتها فقد ذكر الصالحي: أن أمير السرية زيد بن حارثة أمر بقتل (أم قِرفة) لسبها سيدنا رسول الله ﷺ فقتلت قتلاً عنيفاً(١).

ويضيف الزركلي: أنها كانت امرأة شاعرة، وحين ظهر الإسلام سبت رسول الله ﷺ وأكثرت، وجهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمداً فوجه إليهم النبي ﷺ سرية مع زيد بن حارثة فظفر بهم، وأسر أم قِرفة، وتولى قتلها قيس بن المحسَّر اليعمري(٢). ويرى البعض ضعف الرواية الواردة في كيفية قتلها سنداً ومتناً، معتمداً على أن الروايات الواردة عند ابن إسحاق والواقدي لم تشر إلى كون أم قِرفة من المحاربين أو المحرضين على الحرب(٣). ولكن جاء ذكر محاربتها لرسول الله ﷺ عند صاحب كتر العمال(٤). وقبله الترمذي وحسنه(٥). وقبلهما ابن إسحاق كما نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء(٦).

---

(١) المصدر السابق (١٥٨/٦).

(٢) الأعلام (٣٢٧/٥ – ٣٢٨).

(٣) د. مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص (٤٧٥ – ٤٧٦).

(٤) كتر العمال (٥٩٦/١٠) (ح ٣٠٢٦٠).

(٥) الترمذي (ح٢٧٣٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٢٧/١ – ٢٢٨).

الفصل الثالث :

مناوئات للدعوة في المرحلة المدية

وفي هذه المرحلة تكاثرت المناوئات وتنوعت مشاربهن ففيهن المشركة، ومنهن المنافقة، ومن بينهن الكتابية، وفي هذا ما يعكس حجم العداوة للدعوة وتنوع الأعداء في المرحلة المدنية، وسأورد نماذج من مناوأةِ كل فئة من هذه الفئات.

أولاً: المشركات

المبحث السابع:

(ظعينة قريش)

وأبرز نموذج لهذا ظعينة قريش، وحاملة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى مشركي قريش زمن الفتح.

فمن هي هذه المرأة؟ وكيف اتفقت مع حاطب؟ وكيف كانت نهايتها؟

هي (أم سارة) مولاة لقريش، ذكره الخطيب البغدادي[١]. والأكثرون على أنها (سارة) ذكره ابن إسحاق[٢] والواقدي[٣] وابن بشكوال[٤] والنووي[٥].

ويقال أنها مولاة لبعض بني عبد المطلب[٦] وجزم النووي أنها مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي[٧] ويقال مولاة عمرو بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف[٨].

---

(١) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ص (١٢٨ – ١٢٩).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٥٨/٤).

(٣) المغازي (٧٩٩/٢).

(٤) غوامض الأسماء المبهمة ص (٢٥٣).

(٥) شرح صحيح مسلم (٥٥/١٦).

(٦) نقله ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٥٨/٤ – ٧٥).

(٧) شرح مسلم (٥٥/١٦).

(٨) ذكره البلاذري: أنساب الأشراف ص (٣٥٤).

وثمة رأي آخر يقول إنها من (مزينة)[١] وأن اسمها (كنود)[٢] أما خبرها مع (حاطب)، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ما يشير إلى نوع مناوأتها للدعوة، وذلك بحمل خطاب حاطب للمشركين لإبلاغ المشركين بمسير الرسول ﷺ إليهم عام الفتح.

عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: ائتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ..[٣].

وحيث جاء في هذه الرواية (ظعينة) فقد جاء في إحدى روايات البخاري (امرأة من المشركين)[٤] كما جاء في رواية أخرى تحديد أسماء المشركين الذين

---

(١) نقله ابن إسحاق: السيرة لابن هشام (٥٨/٤)، والبلاذري في الأنساب ص (٣٥٤)، وزاد الواقدي: من أهل العرج (قرية على ثلاثة أميال من المدينة) المغازي (٧٩٨/٢).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ص (٣٥٤)، ابن العراقي: المستفاد من مبهمات المتن والإسناد (١٦٥٤/٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم (بشرح النووي) (٥٥/١٦ – ٥٦)، وأخرجه البخاري في أكثر من موضع من كتابه، انظر: الفتح (١٤٣/٦)، (٣٠٤/٧)، (٦٣٤/٨).

(٤) انظر: الصحيح مع الفتح (٣٠٤/٧).

كتب لهم حاطب الكتاب وهم كما ذكر البلاذري: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو(١).

وفي رواية: أنها جاءت من مكة إلى المدينة، فأعطيت راحلة، فلما أن أرادت أن ترجع، أعطاها حاطب عشرة دراهم، على أن تُبلّغ كتابه، فكتب معها إلى مشركي قريش: أن محمداً يُجهِّز، وإني والله ما أدري إياكم يريد أو غيركم، فعليكم بالحذر..(٢) وعند الواقدي بيان أسباب قدومها المدينة، وكيف عاملها الرسول ﷺ حين قدمت – معرفته بحالها – قال: قدمت (سارة) على رسول الله ﷺ تطلب أن يصلها، وشكت الحاجة فقال رسول الله ﷺ: ما كان في غنائك ونياحك ما يغنيك؟ فقالت: يا محمد. إن قريشاً منذ قُتل من قتل منهم ببدر تركوا سماع الغناء، فوصلها رسول الله ﷺ ، وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وهي على دينها..(٣).

وعند الواقدي كذلك نص كتاب حاطب الذي بعث به مع المرأة للمشركين(٤).

---

(١) أنساب الأشراف (/٣٥٤).

(٢) ابن بشكوال: غوامض الأسماء المبهمة ص (٢٥٣)، وعند الواقدي: عشرة دنانير، وفي أخرى دينار المغازي (٢/٧٩٨ – ٧٩٩).

(٣) المغازي (٢/٨٦٠).

(٤) المغازي (٢/٧٩٨).

وعند ابن إسحاق: وجعل لها (حاطب) جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته (الكتاب) في رأسها[١]، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام رضي الله عنهما[٢] فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يُحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة[٣] خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجدَّ منه، قالت: أعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ...[٤].

وفي رواية الحاكم ما يفيد تلكأ المرأة في البداية، ومحاولة صرفهم باسم الدين، حتى أيقنت بعدم جدوى ذلك كله، وفي الرواية: "أن (علياً والزبير)

---

(١) قال البلاذري: وقال بعضهم: لم تجعل الكتاب في رأسها ولكن جعلته في حجزتها، وقيل أنها جعلته في رأسها حتى أمنت ثم جعلت في حجزتها (أنساب الأشراف /٣٥٤).

(٢) هكذا في رواية ابن إسحاق (علي والزبير) وكذلك في رواية الحاكم المستدرك (٣/٣٠١) وفي رواية الصحيحين إضافة (المقداد) وعند البلاذري أن ثالثهما (أبو مرثد الغنوي)، أنساب الأشراف (٢/٣٥٤).

(٣) ذكر ابن رشدين في مسنده أنهم أدركوها بحديقة ابن أبي أحمد، من المدينة على قرب اثني عشر ميلاً «ابن بشكوال: غوامض الأسماء المبهمة ص (٢٥٣)».

(٤) انظر: السيرة لابن هشام (٤/٥٨ – ٥٩)، وقد أسند الخبر ابن إسحاق وانتهى به إلى عروة بن الزبير، وغيره من علمائنا – كذا قال – وصرّح بالتحديث.

أخبراها أنهما غير منصرفين حتى يتزعا كل ثوب عليها، فقالت: ألستما رجلين مسلمين؟ قالا: بلى، ولكن رسول الله ﷺ حدثنا أن معك كتاباً، فلما أيقنت أنها غير منفلتة منهما، حلّت الكتاب من رأسها فدفعته إليهما..."[١].

أما كيف آل إليه أمرها بعد الكتاب، وكيف كانت نهايتها؟

فيقال: إنها مضت – بعد أخذ الكتاب منها – إلى مكة، وكانت – فيما يزعمون – مغنِّية، فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين...[٢].

وذكر ابن إسحاق أنها ممن أهدر النبي ﷺ دمها عام الفتح، وأمر أمراءه من المسلمين بقتلها – مع نفر من المشركين – وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة[٣].

ويمكننا أن نفهم أن (سارة) استمرت في إيذائها للرسول ﷺ بمكة، ولذا ذكر ابن إسحاق أن سبب دخولها فيمن أهدر دمه أنها: كانت ممن يؤذي النبي ﷺ بمكة[٤].

---

(١) المستدرك (٣/٣٠١) وسكت عنه الحاكم، والذهبي في التلخيص، وقال عنه الذهبي في السير (٢/٤٥) إسناده صالح وأصله في الصحيحين، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٣٠٤)، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما ثقات).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ص (٣٥٤).

(٣) انظر: السيرة لابن هشام (٤/٧٥).

(٤) المصدر السابق (٤/٧٥).

أما نهايتها فذكر ابن إسحاق أنه استؤمن لها فأمنها الرسول ﷺ ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها[١].

قال أبو نعيم: لاأعلم أحداً ذكرها في الصحابة ونسبها إلى الإسلام[٢] قلت: بل ذكرها الذهبي في التجريد[٣] وابن حجر في الإصابة[٤].

ونقل ابن حجر في الفتح: وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر، وقال الحميدي بل قتلت[٥] وكذا ذكر الواقدي أنها قتلت يوم الفتح[٦].

ونقل ابن القيم أنه استؤمن لسارة، وإحدى قينتي ابن خطل عند النبي ﷺ فأمنهما، فأسلمتا[٧].

---

(١) المصدر نفسه (٤/٧٦).

(٢) انظر: العراقي: المستفاد (٣/١٦٥٤).

(٣) تجرد أسماء الصحابة.

(٤) الإصابة.

(٥) الفتح (٨/١١).

(٦) المغازي (٢/٨٦٠).

(٧) زاد المعاد (٣/٤١١).

المبحث الثامن :

(جاريتا ابن خطل)

هما قينتان، فَرْتَني، وصاحبتها، كما ذكر ابن إسحاق[١]. وقيل هما: فرتني، وقرينة، وقيل هما: أرنب وأم سعد، ذكره ابن حجر[٢].

ونقل البيهقي عن ابن إسحاق: قينة وصاحبتها، ونسب القينتين لمقيس بن صبابة، وأن أحدهما قتلت، والأخرى فأسلمت[٣] وهذا خلاف ما ذكر ابن إسحاق في السيرة –كما مرّ – إلا أن يكون ابن إسحاق نقل ذلك في موضع آخر.

أما الواقدي فيزيدنا تعريفاً بهاتين الجاريتين، فيسميهما ويصفهما، فهما عنده: (فَرْتَنا) والأخرى (أرنب)، وكانتا – كما يقول – فاسقتين[٤].

أما ابن خطل فكان كما تقول روايات السيرة، أحد النفر الذين أهدر النبي ﷺ دمهم يوم الفتح، وأوصى بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة، ولكل منهم جُرمه، قال ابن إسحاق: أنه رجل من بني تيم بن غالب[٥]، وقد أسلم ثم بعثه الرسول ﷺ مصدقاً ومعه رجل من الأنصار، وكان معه مولى له

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (٤/٧٤).

(٢) الفتح (٨/١٢،١١).

(٣) دلائل النبوة (٥/٦٣،٦٢).

(٤) المغازي (٢/٨٦٠).

(٥) وذكر ابن عبدالبر أن اسمه (عبد العزى) وأنه من بني الأدرم بن غالب (الدرر في اختصار المغازي والسير ص (١٦١)).

يخدمه، وكان مسلماً، فنزلا منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فغدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً، وتولى قتله: سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه[١].

أما الواقدي فتزيدنا روايته تفصيلاً، وتختلف بعض الشيء عن روايات ابن إسحاق وفيها أن الذي بُعث مع ابن خطل رجل من خزاعة، وهو الذي يصنع طعامه ويخدمه، وليس في الرواية ذكر لمولى ابن خطل، والقتل إنما وقع على الخزاعي بسبب عدم صنعه الطعام لابن خطل حين استيقظ من نومه، فارتد ابن خطل عن الإسلام خشية أن يُقتل بقتيله، وساق ما أخذ من الصدقة، وهرب إلى مكة، وحين سأله أهل مكة: مردَّك إلينا؟ قال: لم أجد خيراً من دينكم، فأقام على شركه، وكان يقول الشعر يهجو به رسول الله ﷺ، ويأمر قينتيه أن تغنيا به، ومع أن الواقدي زاد على ابن إسحاق في أسماء الذين قيل أنهم قتلوا ابن خطل فقد رجح أن الذي قتله: أبو برزة الأسلمي، فهو الأثبت عنده[٢].

أما القينتان – محل البحث – فإضافة إلى (فسقهما) الذي ذكره الواقدي عنهما، وكونهما تغنيان شعر الهجاء برسول الله ﷺ، فقد كان المشركون يدخلون عليهما – وعلى ابن خطل – فيشربون الخمر، وهما تغنيان بذلك الهجاء[٣].

---

(١) السيرة لابن هشام (٤/٧٤).

(٢) المغازي (٢/٨٦٠، ٨٥٩).

(٣) المصدر السابق (٢/٨٦٠)، السيرة لابن هشام (٤/٧٤) ولم يذكر ابن إسحاق دخول المشركين عليهم.

ولذا أمر النبي ﷺ بقتلهما – مع ابن خطل – يوم الفتح[١]، أو بقتل (فرتنا) كما أورد ابن سعد[٢].

وعن نهايتهما جاء في رواية ابن إسحاق أن إحدى القينتين قتلت، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد فأمنها[٣].

وعند الواقدي أن التي قتلت: أرنب أو فرتنا، ثم أضاف: وأما فرتنا فاستؤمن لها حتى أمنت وعاشت حتى كُسر ضلع من أضلاعها زمن عثمان ابن عفان، فماتت منه..[٤].

وفي أنساب البلاذري: وأما أرنب فقتلت أو صاحبتها، وبقيت الأخرى فجاءت مسلمة، وقد تنكرت، و لم تزل باقية إلى أيام عثمان[٥].

---

(١) ابن هشام: السيرة (٤/٧٤).

(٢) الطبقات (٢/١٤١).

(٣) المصدر السابق (٤/٧٦).

(٤) المغازي (٢/٨٦٠).

(٥) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج (١١/٤٢) تحقيق د. سهيل زكار، د. رياض زركلي، ط الأولى ١٤١٧هـ.

ثانياً: المنافقات:

من دقائق البحث وغوامض السيرة البحث في المنافقين عموماً، والمنافقات على وجه الخصوص، إذ يكتنف ذلك غموض - ولحكمة إلهية - يصعب معه التعرف بدقة على كل أسماء وأعمال المنافقين والمنافقات، كيف لا وقد أوحي لمحمد ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[١].

لكن قيل لرسول الله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[٢].

قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية أحد من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم، وقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشك الناس فيهم، فأصبحوا ذات ليلة، وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب: هذا منافق، فذلك سيماهم[٣].

وقال ابن عباس: وقد عرفه إياهم في سورة براءة[٤].

---

(١) سورة التوبة آية [١٠١].

(٢) سورة محمد آية [٢٩ - ٣٠].

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/١٦).

(٤) المصدر السابق (٢٥٢/١٦).

وآية براءة المشار إليها – في كلام ابن عباس – هي قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١).

وفي تأويلها قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلاً، ثم نسخ تلك الأسماء من القرآن رأفة منه ورحمة، لأن أولادهم كانوا مسلمين، والناس يُعير بعضهم بعضاً.

وقيل: إن الله عَرَّف نبيه ﷺ أحوالهم وأسماءهم، لأنها أنزلت في القرآن، وبكل حال فقد أنجز الله وعده لنبيه ﷺ في المنافقين(٢).

ونجد في السيرة معرفة الناس بالمنافقين، في عصر النبوة، فقد روى ابن إسحاق بسنده عن محمود بن لبيد عن رجال من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم، والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال محمود – مدللاً – لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان... قيل له ويحك هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة(٣).

---

(١) سورة التوبة آية [٦٤].

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/٨).

(٣) ابن هشام: السيرة (٢٢٦/٤).

لكن ومع ذلك كله تظل طائفة من أسماء المنافقين أو أعمالهم غير معلومة عند المسلمين، ولذلك يمكن أن يسمع لهم طائفة من المسلمين ويوقعوا الفتنة فيهم، ولهذا جاء التحذير الرباني من خروجهم معه المسلمين للغزو كما قال تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وجاءت إشارات القرآن إلى مواقفهم مجملة تحمل عبارة (ومنهم) في أكثر من موقفٍ من مواقفهم[2].

وإذا كان هذا – في المنافقين عموماً، فالأمر بالنسبة للمنافقات أدق وأخفى، كيف لا، ونحن لا نكاد نجد في عدد من المواضع التي جاء فيها ذكر أسماء المنافقين – في السيرة – ذكراً لأسماء منافقات من النساء، وعلى سبيل المثال، ففي حديث ابن إسحاق وإحصائه لعدد من أسماء المنافقين في غزوة تبوك، ومسجد الضرار لم يأت على ذكر امرأة من المنافقات[3]، بل ولا نجد عند ابن إسحاق ذكراً للمنافقات في نشأة النفاق بالمدينة[4] بل يصعب الوقوف – بشكل عام على اسم امرأة من المنافقات في سيرة ابن إسحاق.

---

(١) سورة التوبة آية [٤٧].

(٢) انظر: الآيات (٤٩، ٥٨، ٦١، ٧٥) من سورة التوبة.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام (٤/٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٧).

(٤) انظر: السيرة لابن هشام (٢/١٨٩ – ٢٠٢)، ولا في حديث ابن إسحاق عن (نبذ من المنافقين). وانظر: كذلك (٣/٣٠٩)، (٢/٢٦٧ – ٢٧٠).

أما ابن حبيب فقد أحصى أسماء ستة وثلاثين رجلاً من المنافقين، و لم يذكر من بينهم منافقة[١].

ولكن ذلك لا يُلغي وجود منافقات في عهد النبوة، كيف لا، والحق تبارك وتعالى ذكر المنافقات إلى جنب المنافقين في سورتي «التوبة[٢]، والأحـــزاب[٣]، وفي سورة الحديد والفتح[٤]» وهذه الآيات المحكمات، تؤكد وجود منافقات، وتلزمنا بالبحث عنهن فماذا نجد في أسماء المنافقات؟ وما نوع مناوأتهن للدعوة؟

---

(١) المحبر ص (٤٦٧ – ٤٧٠).

(٢) الآية ٦٧ وهي قوله تعالى : {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ..} والآية ٦٨ وهي قوله تعالى : {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ...}

(٣) الآية ٧٣ وهي قوله تعالى : {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ..}

(٤) وهي قوله تعالى:{ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ}.

المبحث التاسع :

(امرأة عبد الله بن أبي)

رئيس المنافقين[١] وقصة الإفك

روى الطبراني في معجمه الكبير – في قصة الإفك – وكانت امرأة عبد الله بن أبي منافقة معه، فنزل القرآن، الخبيثات – يعني امرأة عبد الله للخبيثين – يعني عبد الله – والخبيثون للخبيثات[٢] – يعني عبد الله لامرأته والطيبات للطيبين – يعني عائشة- وأزواج النبي ﷺ والطيبون يعني النبي ﷺ للطيبات – يعني لعائشة وأزواج النبي ﷺ [٣].

وعند الهيثمي مثله وعزاه للطبراني ثم قال: وفيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي وهو كذاب[٤].

ونقل القرطبي في تأويل آية الأحزاب هذه – قال مجاهد وابن جبير، وعطاء وأكثر المفسرين (في معنى الخبيثات للخبيثين) المعنى: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول.

---

(١) انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٣٥٤.

(٢) الآية: ٢٦ من سورة النور.

(٣) المعجم الكبير (١٢٨/٢٣).

(٤) مجمع الزوائد (٢٤٠/٩).

وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول، ثم نقل عن النحاس قوله وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية[١].

وإذا لم تتوفر لدينا معلومات كافية عن امرأة (عبد الله بن أبي) ونوع مناوأتها للدعوة، وموقف الرسول ﷺ منها، فلدينا نموذج آخر من (المنافقات) تسعفنا المصادر عنها بأكثر تفصيلاً هي:

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٨).

المبحث العاشر:

(عصماء بنت مروان)

هي من بني أمية بن زيد، وهي جدة أبي موسى الأنصاري صاحب الصدقات[١]، وعند ابن إسحاق أن (عصماء) نافقت بعد قتل (أبي عَفَك) أحد بني عمرو بن عوف وكان قد نجم نفاقه، فقتله (سالم بن عمير) أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين[٢].

وإن كان الواقدي اعتبر قتل (أبي عفك) متأخراً عن قتل (عصماء)[٣].

أما خبر (عصماء) ونوع مناوأتها للدعوة، وكيف كانت نهايتها، فقد رواه ابن إسحاق مطولاً، قال: ذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال: وكانت تحت رجل من بني خُطمة ويقال له: يزيد بن يزيد، فقالت: تعيب الإسلام وأهله:

باسْت بني مالك والنّبيت ... وعوفٍ وباسْت بني الخزرج
أطعتم أتاويَّ من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج
تُرجُّونه بعد قتل الرؤوس ... كما يُرتجى مرق المُنضج
ألا أنِف يبتغي غِرَّة ... فيقطع من أمل المُرتجِى

---

(١) ابن حبيب: المحبر ص (٢٨٣).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام (٣٧٦/٤ – ٣٧٨).

(٣) انظر: المغازي (١٧٥/١).

قال فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بنـــو وائـــل وبنـــو واقـــفٍ ... وخطْمـــه دون بـــني الخـــزرج
مـــتى مادعـــت سَـــفَهاً وَيْحَهـــا ... بَعوْلَتِهـــا والمنايـــا تجـــي
فهـــزَّت فـــتى ماجـــداً عرقُـــه ... كـــريم المـــداخل والمخـــرج
فـــضرَّجها مـــن نجيـــع الـــدِّما ... بعـــد الهـــدوء فلـــم يَخْـــرج

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك، ألا آخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عُمير بن عدي الخطمي، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مـــع رســـول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها، فقال: نصرت الله ورسوله يا عُمير، فقـــال: هل عليَّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

فرجع عُمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم في شـــأن بنـــت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عدي مـــن عنـــد رسول الله ﷺ قال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. فذلك اليوم أول ما عزّ الإسلام في دار بني خطمة، وكان يـــستخفي بإسلامه فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بني خطمة عُمير بن عـــدي، وهو الذي يُدعى القارئ، وعبد الله بن أوس، وخزيمة بن ثابت، وأسلم، يـــوم قتلت ابنة مروان، رجال من بني خطمة، لما رأوا من عز الإسلام[1].

(١) السيرة لابن هشام (٤/٣٧٨، ٣٧٩).

كما روى خبرها الواقدي، وزاد في مناوأتها – على ابن إسحاق – أنها كانت تُحرض على النبي ﷺ، كما حدد الواقدي قتل عصماء لخمس ليالٍ بقين من رمضان، مرجع النبي ﷺ من بدر، على رأس تسعة عشر شهراً[١].

وجاء ابن سعد على ذكر السرية التي قتلت فيها (عصماء) وذكر أنها كانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي ﷺ وتحرض عليه وتقول الشعر[٢].

وذكر ابن عبد البر أن (عصماء) كانت تحض على الفتك برسول الله ﷺ، وأن قتلها سنة اثنين من الهجرة[٣].

وعند البغدادي أنها كانت تهجو النبي ﷺ فشقَّ ذلك على النبي ﷺ وأنها كانت تمارة تبيع التمر، فأتاها رجل من قومها فنظر إلى تمر عندها فقال: أعندك أجود من هذا؟ قالت: نعم، فدخلت البيت لتعطيه ودخل خلفها، فنظر يميناً ويساراً فلم ير إلا خواناً، فعلا به رأسها حتى دفعها...[٤].

وبنحوه ذكر (ابن بشكوال) وزاد: وكانت تُحرِض على المسلمين وتؤذيهم[٥]. ولكن محقق (المستفاد) ضعف إسناد هذه الرواية، وقال رواه ابن

---

(١) المغازي (١/١٧٢ – ١٧٤).

(٢) الطبيقات (٢/٢٧).

(٣) الاستيعاب (بهامش الإصابة) (٩/٣٨)، في ترجمة عمير بن عدي الخطمي (١٩٨٧).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/٩٩).

(٥) غوامض الأسماء المبهمة (٢/٥٢٠، ٥٢١).

الجوزي في العلل المتناهية[١] مختصراً ثم قال: وهذا مما يُتهم محمد بن الحجاج بوضعه[٢].

أما رواية ابن إسحاق (السابقة) فهي وإن كان سندها (معضلاً) فقد وردت القصة من غير طريق ابن إسحاق بسند متصل، ورجاله ثقات، كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام[٣].

وقد نقل الحافظ في الإصابة أن (عصماء) كانت تعيب الإسلام وأهله، وأن قاتلها (عمير بن عدي) أول من أسلم من بني خطمة[٤].

وبكل حال فنستخلص من قصة (عصماء) أنها كانت ذات أثر على الدعوة في قومها ومؤذية للرسول ﷺ والمسلمين[٥]، ولذا عزّ الإسلام في بني خطمة بعد قتلها، وأسلم رجال من بني قومها بعد قتلها، وأظهر آخرون إسلامهم بعد إذ كانوا يستخفون به – كما في رواية ابن إسحاق السابقة – وقال الواقدي بعد قتلها: فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفاً من قومهم[٦].

---

(١) العلل المتناهية : (١/١٨٠- ٢٧٩).

(٢)انظر: هامش المستفاد من مبهمات المتن والإسناد (٢/١١٦٩، ١١٧٠).

(٣)انظر: حاشية الدهلوي على بلوغ المرام (٢/٢٤١)، وهامش السيرة لابن هشام (٤/٣٧٩).

(٤) الإصابة (٧/١٦٥) (٦٠٣٨).

(٥) المحبر ص (٢٨٣).

(٦) المغازي (١/١٧٣، ١٧٤).

ثالثاً: الكتابيات (الذمِّيات).

المبحث الحادي عشر:

(يهودية كانت تشتم النبي ﷺ)

أ- روى الشعبي عن علي أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ دمها، رواه أبو داود في سننه[١]، ورواه غيره[٢].

ب- وفي رواية أخرى عن الشعبي – أيضاً – ان رجل من المسلمين أعمى يأوي إلى امرأة يهودية، فكانت تطعمه وتحسن إليه، فكانت لاتزال تشتم النبي ﷺ وتؤذيه، فلما كان ليلة من الليالي خنقها فماتت، فلما أصبح ذُكر للنبي ﷺ ، فَنشَدَ الناس في أمرها، فقام الأعمى فذكر له أمرها، فأبطل رسول الله ﷺ دمها[٣].

وقد جوَّد ابن تيمية هذا الحديث، وأن أرسله الشعبي[٤].

وقد ذكر الذهبي رواية تدل على أن هذا الأعمى هو: عبد الله بن أم مكتوم [٥].

---

(١) (٤/٥٣٠) ح (٤٣٦٢)، و لم يذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) انظر: ابن تيمية الصارم المسلول على شاتم الرسول ص (٢/١٢٥).

(٣) عزاه ابن تيمية إلى أحمد من رواية ابنه (عبدالله) الصارم المسلول (٢/١٢٥، ١٢٦).

(٤) الصارم المسلول (٢/١٢٧،١٢٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/٣٦٣).

ويرجح ابن تيمية أن تكون هذه المرأة من يهود بني قينقاع[١] ثم قال: وسواء كانت منهم أو من غيرهم، فإنها كانت ذمية؛ لأنه لم يكن بالمدينة من اليهود إلا ذمي، وكلهم معاهد[٢]، وقال: إنها كانت معصومة ولم تكن حربية[٣].

ج- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول[٤] فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: ألا اشهدوا أن دمها هدر.

---

(١) الصارم المسلول (٢/١٣٤).

(٢) المصدر السابق (٢/١٣٤).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٨).

(٤) المغول: سيف قصير رقيق يشتمل به، أو حديدة دقيقة لها حد ماضٍ، لسان العرب (٦/٣٣٢٠) غول.

رواه أبو داود (واللفظ له)[١] والنسائي[٢] والبيهقي[٣] والحاكم[٤] وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر رواته ثقات[٥] وصححه الألباني[٦].

وهنا يرد السؤال هل كانت هذه المرأة كتابية ذمية؟ وهل قصتها هي نفس القصة السابقة في الحديثين – وإن اختلفت بعض عباراتهما – أم أنهما قصتان مختلفتان؟

الذي رجحه ابن تيمية أن تكون هذه القصة هي الأولى، واستدل عليه بكلام للإمام أحمد[٧] وقال في موضع آخر: فإن القصة إما أن تكون واحدة أو يكون المعنى واحداً[٨].

فإن قيل أن الأولى خُنقت، وهذه قتلت بالمغول، أجاب عنه ابن تيمية بقوله: ويكون قد خنقها، وبعج بطنها بالمغول، أو يكون كيفية القتل غير محفوظة في إحدى الروايتين[٩].

---

(١) في كتاب الجهاد، باب الحكم فيمن سب النبي ص ح (٤٣٦١) (٥٢٨/٤).

(٢) في كتاب تحريم الدم، باب الحكم فيمن سب النبي ص (١٠٧/٧).

(٣) في السنن الكبرى (٦٠/٧)، (١٣١/١٠).

(٤) المستدرك (٣٥٤/٤)، مع تلخيص الذهبي.

(٥) بلوغ المرام ح (١٢٣٠) ص (٢٥٥).

(٦) صحيح سنن أبي داود (٨٢٤/٣) ح (٣٦٦٥).

(٧) الصارم المسلول (١٤٣/٢).

(٨) المصدر نفسه (١٢٧/٢).

(٩) المصدر السابق (١٤٣/٢).

كما أيد الشيخ رأيه – بكون القصتين واحدة – بقوله: إن وقوع قصتين مثل هذه لأعميين، كل منهما كانت المرأة تحسن إليه وتكرر الشتم، وكلاهما قتلها وحده، وكلاهما نَشَد رسولُ الله ﷺ فيها الناس بعيدٌ في العادة[١].

وينتهي ابن تيمية على أن المقتولة – في هذا الحديث – يهودية، كما جاء مفسراً في الرواية السابقة، ثم قال: وهذا قول القاضي أبي يعلى، وغيره، استدلوا بهذا الحديث على قتل الذمي ونقضه العهد، وجعلوا الحديثين حكاية واقعةٍ واحدة[٢].

ونقل ابن تيمية إمكانية اختلاف القصتين، ونسبه للخطابي، وردّ عليه[٣] وهذه المرأة إما أن تكون زوجة لهذا الرجل أو مملوكة له، كما قرر الشيخ[٤]، وعلى كل حال فالسبُّ للنبي ﷺ هي المناوأة الظاهرة لهذه المرأة، وهذه الأحاديث نص في جواز قتل الذمية السابة – ولو كانت ذات عهد – وإذا وجب القتل على الذمي الساب فإيجابه على الساب بطريق الأولى، كذا قرر العلماء[٥].

---

(١) المصدر نفسه (١٤٤/٢).

(٢) المصدر نفسه (١٤٤/٢).

(٣) المصدر نفسه (١٤٤/٢).

(٤) المصدر نفسه (١٤٥/٢).

(٥) انظر: كلام ابن تيمية ونقله لكلام العلماء في: الصارم المسلول على شاتم الرسول (١٢٨/٢).

المبحث الثاني عشر :

(اليهودية والشاة المسمومة)

أ- أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك : أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فقيل: ألا تقتلها؟ قال: لا، فمازلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ (١).

ب- وفي رواية أخرى عند البخاري عن أبي هريرة أنه قال: لما افتتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسول الله ﷺ أجمعوا لي من مكان ها هنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقوني عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ (وسألهم: من أبوكم؟ ومن أهل النار؟) ثم يجيبون ويكذبهم رسول الله ﷺ حتى قال لهم: هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك(٢).

ج- وفي صحيح مسلم عن أنس أن امرأة يهودية... ثم ساق الخبر، بنحو رواية البخاري (الأولى) وفيه زيادة: فجيء بها (اليهودية) إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليُسلّطك على ذاك، ثم ذكر بقية الحديث بنحو ما سبق(٣).

---

(١) كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، انظر: الصحيح مع الفتح (٥/٢٣٠) ح (٢٦١٧).

(٢) في كتاب الطب، باب مايذكر في سم النبي ص ، الفتح (١٠/٢٤٤، ٢٤٥) ح (٥٧٧٧).

(٣) كتاب السلام، باب السم (٢١٩٠)، (٤/١٧٢١).

د- وعند أبي داود روايتان، الأولى بنحو الرواية السابقة عند مسلم[١].

وفي الثانية إنما أرسل النبي ﷺ لليهودية يسألها: ما حملك على الذي صنعت؟ حين مات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، وفي نهاية الرواية (فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت)[٢]، وكلتا الروايتين صححهما الألباني.

وثمة مرويات أخرى عن هذه الحادثة – سنأتي عليها – ولكنا قبل أن نتجاوزها إلى غيرها نقف مستخلصين من هذه الروايات الحديثية ما يلي:

١- ثبوت حادثة سمِّ اليهودية للنبي ﷺ في أصح كتب الحديث.

٢- وأن الحادثة وقعت في غزوة خيبر – بعد فتحها – وفي مرويات السيرة تفصيل أكثر كما سيأتي.

٣- يظهر في بعض الروايات السابقة أن الرسول ﷺ لم يقتل اليهودية، وفي بعضها الآخر أنه أمر بقتلها فقتلت، فهل هذا تعارض؟ وكيف الجمع بينها؟.

٤- وليس في الروايات السابقة تسمية لليهوية، فهل نجد ذلك في مرويات أخرى؟

---

(١) انظر: صحيح سنن أبي داود (٨٥٤/٣) كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه أيقاد منه ح (٣٧٨٢).

(٢) المصدر السابق (٨٥٤/٣) ح (٣٧٨٣).

وحين نعود إلى مرويات كتب السيرة، نجد تفصيلاً أكثر، وإجابة على عدد من هذه التساؤلات، بل وجمعاً – لما يبدو عليه التعارض منها – ولنبدأ برواية ابن إسحاق حيث قال:

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيه من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يُسغها، ومعه بِشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ منها رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: هكذا ولعل صوابها قالت: بلغت من قومي ما لم يَخْف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيُخبر، قال، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل[١].

هـ- وعند ابن سعد: وفي هذه الغزاة (خيبر) سمت زينب بن الحارث امرأة سلام بن مشكم رسول الله ﷺ ، وناساً من أصحابه، فيهم بشر بن البراء بن معرور، فمات منها فيقال إن رسول الله ﷺ قتلها، وهو الثابت عندنا[٢].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (٣/٤٧٠، ٤٧١)، وإن كان ابن إسحاق أخرجه بغير إسناد، الفتح (١٠/٢٤٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/١٠٧)، قال ابن حجر: أورده ابن سعد من طرق عن ابن عباس بسند ضعيف (الفتح (١٠/٢٤٥).

ومن خلال هاتين الروايتين نقف على الأمور التالية:

١- تحديد اسم المرأة صاحبة السم (زينب بن الحارث) امرأة (سلام بن مشكم) وهو أمر تتفق عليه الروايتان، ويتفق معهم على التسمية كذلك موسى بن عقبة[١].

٢- قال أبو داود: (هذه أخت مرحب اليهودي)[٢] وذكره السهيلي[٣] وعند البيهقي: وهي ابنة أخي مرحب[٤].

٣- وفي رواية ابن إسحاق ذكر لـ بشر بن البراء في الأكل من هذه الشاة المسمومة وعند ابن سعد زيادة «وناسٌ من أصحابه فيهم بشر بن البراء».

وعند البيهقي: وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرية والشفرة، وأبو هند مولى النبي ﷺ من بني بياضة من الأنصار[٥].

٤- وعند البيهقي رواية أخرى تفيد أن الشاة المسمومة قدمتها اليهودية لصفية، ولما دخل الرسول ﷺ على صفية قدمت له ولبشر الشاة المصلية المسمومة[٦].

---

(١) انظر: الفتح (٤٩٧/٧).

(٢) سنن أبي داود (١٧٣/٤).

(٣) الروض الأنف (٥٧١/٦).

(٤) انظر: دلائل النبوة (٢٦٣/٤).

(٥) دلائل النبوة (٢٦٢/٤).

(٦) المصدر السابق (٢٦٣/٤).

٥- تتفق رواية ابن إسحاق مع الروايات السابقة التي تشير إلى تجاوز النبي ﷺ عن قتلها[١] بينما رجحت رواية الواقدي – التي ساقها ابن سعد – قتلها، قال: وهو الثابت عندنا، وجمع العلماء بين هذه الروايات، وأزالوا الإشكال.

قال السهيلي: ووجه الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صفح عنها أول لأنه كان ﷺ لا ينتقم لنفسه، فلما مات بشر بن البراء من تلك الأكلة قتلها[٢]، وبنحوه جمع النووي[٣]، وابن القيم[٤]، وغيرهم[٥].

أما ابن حجر فوضع احتمالاً آخر، وبنى عليه لازماً، أما الاحتمال فقال عنه: ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخَّر قتلها حتى مات بشر لأن بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه[٦].

أما لازم ذلك عند ابن حجر فقد جعلها (زينب بنت الحارث الإسرائيلية) في الإصابة في القسم الأول من الصحابيات، معتمداً في ذلك على ما نقله معمر عن الزهري في إسلامها، ونقل القول بقتلها[٧].

---

(١) ولذا استغرب ابن حجر قول محمد بن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله ص قتلها، الفتح (٢٤٥/١٠).

(٢) الروض الأنف (٥٧١/٦).

(٣) شرح مسلم (١٧٩/١٤).

(٤) زاد المعاد (٣٣٦/٣).

(٥) انظر: ابن حجر: الفتح (٤٩٧/٧).

(٦) الفتح (٤٩٧/٧).

(٧) الإصابة (٢٧٨/١٢) ترجمة (٤٧٠).

وعلى كل حال فقد سبق إلى القول بإسلام هذه اليهودية — قبل ابن حجر — (الزهري)[١] وجزم به (سليمان التيمي) في مغازيه، وقد ورد عنده قولها: «وقد استبان لي الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك، وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فانصرف عنها حين أسلمت»[٢].

ووقع خلاف هل أكل النبي ﷺ من الشاة المسمومة أم لم يأكل؟

قال ابن القيم: وأكثر الروايات أنه أكل منها، وبقي بعد ذلك ثلاث سنين[٣].

ثم استدل برواية البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم[٤].

وقال الزهري: فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً[٥] يعني من أثر هذه الشاة المسمومة.

وهكذا تبين لنا نوعه هذه المناوأة، وأثرها على حياة رسول الله ﷺ، كما تبين لنا عقوبة هذه المناوئة الذمية بالقصاص منها، وقد اعتبر الحافظ ابن حجر، من فوائد حديث هذه المرأة: «أن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه»[٦].

---

(١) نقله السهيلي وقال رواه معمر بن راشد في جامعه عن الزهري، قال معمر: هكذا قال الزهري، والناس يقولون قتلها وإنما لم تسلم، الروض الأنف (٦/٥٧١، ٥٧٢).

(٢) نقل ذلك ابن حجر في الفتح (٧/٤٩٧، ٤٩٨).

(٣) زاد المعاد (٣/٣٦٦).

(٤) انظر: البخاري مع الفتح (٨/١٣١)، كتاب المغازي ح (٤٤٢٨).

(٥) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (٤/٢٦٤)، وابن القيم: زاد المعاد (٣/٣٣٧).

(٦) الفتح (٧/٤٩٨).

المبحث الثالث عشر :

(اليهودية القاتلة)

لم تنفرد نساء يهود (بني قينقاع) ولا (يهوديات خيبر) بالمناوأة في عهد النبوة. بل انضاف إليهن نساء من فصائل أخرى لليهود، واليهودية القاتلة – في هذا المبحث – تختلف المصادر في نسبتها (لبني النضير) أو (بني قريظة).

فالواقدي يقول: امرأة من بني النضير يقال لها نُباتَة[١] كذا عند الواقدي.

وعند ابن سعد بناته امرأة من بني قريظة[٢].

وسماها ابن عبد البر (بُناته) وساقها بلفظ يقولون[٣].

أما الصالحي فقال في شرحه الغريب: بنانة بموحدة ونونين بينهما ألف نقله النووي في مبهماته عن الخطيب، وقال في المورد: رأيته بخط الحافظ السِّلفي بثاء مثلثة، فموحدة فألف، ففوقيه، قلت (الصالحي): وكذا رأيته في نسخة من العيون صحيحة جداً قرئت على مصنفها مرات، وقرئت على الحافظ ابن حجر وغيره من المتقنين[٤].

---

(١) الواقدي: المغازي (٢/٥١٦) دون إسناد.

(٢) الطبقات (٣/٥٣٠).

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة (٣/٢٠٣).

(٤) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد (٥/٤٥).

أما ابن إسحاق فلم يسم المرأة، بل اكتفى بالقول: إنه لم يُقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة[١].

ولعل تفصيل الواقدي بقوله: أنها من بني النضير وكانت تحت رجل من بني قريظة، يخفف هذا الاختلاف[٢].

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته[٣].

وفي موطن آخر قال ابن إسحاق: وهو يتحدث عمن شهد العقبة من الأوس والخزرج، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج... وقتل يوم بني قريظة شهيداً، طُرحت عليه رحى من أطم من أطامها فشدخته شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ فيما يذكرون: «إن له لأجر شهيدين»[٤].

كما ذكر مثل ذلك في حديثه عمن استشهد من المسلمين في بني قريظة[٥].

وإذا لم نجد تفصيلاً أكثر لكيفية القتل، ولا لتسمية القاتلة كذلك عند ابن إسحاق فإننا نجد تفصيلاً أكثر عند الواقدي إذ يقول: «قالوا: وكانت امرأةٌ من بني النضير يقال لها نُباتَة، وكانت تحت رجل من بني قريظة فكان يحبها وتحبه،

---

(١) السيرة لابن هشام (٣/٣٣٤).

(٢) المغازي (٢/٥١٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٣/٣٣٥).

(٤) السيرة لابن هشام (٢/١١٣).

(٥) السيرة لابن هشام (٣/٣٥١).

فلما اشتد عليهم الحصار بكت إليه وقالت: إنك لمفارقي. فقال: هو والتوراة ما ترين، وأنتِ امرأةٌ فدلِّي عليهم هذا الرحى، فإنَّا لم نقتل منهم أحداً بعدُ، وأنت امرأة، وإن يظهر محمدٌ علينا لا يقتل النساء. وإنما كان يكره أن تُسْبَى، فأحبَّ أن تُقتل بجرمها. وكانت في حصن الزبير بن باطا، فدلَّت رحىً فوق الحصنِ، وكان المسلمون ربما جلسوا تحت الحصن يستظلُّن في فيئه، فأطلعت الرحى، فلما رآها القوم انفضُّوا، وتدرك خلاَّد بن سويد فتشدخ رأسه، فَحَذِرَ المسلمون أصل الحصن. فلمَّا كان اليوم الذي أمر رسول الله ﷺ أن يُقتَلوا، دخلت على عائشة فجعلت تضحك ظهراً لبطن وهي تقول: سراةُ بني قريظة يُقتَلون! إذ سمعت صوت قائلٍ يقول: يانُباتة. قالت: أنا والله التي أدعى. قالت عائشة: ولِمَ؟ قالت: قتلني زوجي – وكانت جاريةً حلوة الكلام. فقالت عائشة: وكيف قتلك زوجك؟ قالت: كنت في حصن الزبير بن باطا، فأمرني فدلَّيت رحىً على أصحاب محمد فشدخت رأس رجلٍ منهم فمات وأنا أقتل به. فأمر رسول الله ﷺ بها فقتلت بخلاَّد بن سويد. قالت عائشة: لا أنسى طيب نفس نباتة وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل. فكانت عائشة تقول: قُتلت بنو قريظة يومهم حتى قتِلوا بالليل على شُعَل السعف.»[1].

ولكن آفة هذه الرواية أنها دون إسناد، بل ساقها الواقي بقوله: قالوا.

(١) انظر المغازي للواقدي (٢/٥١٦، ٥١٧).

أما رواية ابن إسحاق – فعلى الرغم من اختصارها – فهي متصلة الإسناد إلى عائشة رضي الله عنها وابن إسحاق صرح بالتحديث عنها، ولذا صححها عدد من الباحثين(١).

قال ابن سعد: وكانت بنانة امرأة الحكم القرظي، وقتلها رسول الله ﷺ بخلاد(٢).

أما رواية أن لخلاد – قتيل اليهودية – أجر شهيدين فقد أورد ابن سعد وأبو داود جواب رسول الله ﷺ على ذلك لمن سأل بقوله: لأن أهل الكتاب قتلوه، هذا لو صح الحديث!(٣).

وعلى كل حال فقد اعتبر السهيلي هذه المرأة القتيلة مرتدة حيث قال: وأما حديث المرأة المقتولة من بني قريظة ففيها دليل لمن قال بقتل المرتدة من النساء، أخذاً بعموم قوله عليه السلام: من بدل دينه فاضربوا عنقه(٤).

---

(١) القصة رواها أحمد في مسنده وقال الساعاتي: وسنده صحيح ورجاله ثقات، الفتح الرباني (٨٤/٢١، ٨٥)، وانظر محققي السيرة لابن هشام – د. همام، وأبي صعيليك السيرة لابن هشام (٣٣٤/٣) هامش (أ).

(٢) الطبقات (٥٣١/٣)، مختصر سنن أبي داود (٣٥٨/٣، ٣٥٩).

(٣) فقد رواه ابن إسحاق معلقاً، السيرة لابن هشام (١٢٢/٢، ١١٣) ورواية ابن سعد وأبي داود مسنده ولكن في السند (الفرج بن فضالة) وهو ضعيف وعنده مناكير، انظر مختصر سنن أبي داود للمنذر (٣٥٩/٣)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٦٠/٨، ٢٦١)، تقريب التهذيب (١٠٨/١)، وفي الإسناد كذلك (عبد الخبير بن إسماعيل) وهو كما قال أبو حاتم الرازي: حديثه ليس بالقائم، منكر الحديث. انظر الجرح والتعديل (٣٨/٦)، وقال ابن عدي: وعبد الخبير ليس بالمعروف، الكامل في ضعفاء الرجال (١٩٨٥/٥).

(٤) الروض الأنف (٣٣٥/٦).

الفصل الرابع :

مناوئات للدعوة من خارج أرض الحجاز (اليمن)

لم تقتصر المناوأة للدعوة من النساء في مكة والمدينة، أو ما جاورها من أرض الحجاز – كخيبر – وإنما وجد مناوئات للدعوة في جنوب الجزيرة في أرض اليمن في كندة وحضرموت، وهؤلاء فيهن البغايا، ومنهن اليهودية والشريفة وغيرهن.

وخبرهن، وتعدادهن، ومن انضاف إليهن، ونوع مناوأتهن، ونهايتهن، كل ذلك ساقه أبو جعفر ابن حبيب (ت ٢٤٥) في كتابه المحبر، بعنوان: (النسوة المتمنيات موت رسول الله ﷺ وقصتهن). ثم قال:

لما قبض رسول الله ﷺ ذهب بنعيه إلى حضرموت رجل من كليب من بني عامر بن عوف من بني الجلاح يقال له جهبل وهم أهل بيت لم يزالوا بحضرموت بقرية يقال لها رحبة. وكان بحضرموت ست نسوة من كندة وحضرموت يتمنين موت رسول الله ﷺ فخضبن أيديهن بالحناء وضربن بالدفوف. فخرج إليهن بغايا حضرموت، ففعلن كفعلهن.

عددهن وأماكنهن:

وكان اللواتي اجتمعن إلى الست النسوة نيفاً وعشرين امرأة، فكن متفرقات في قرى حضر موت بتريم ومشطة والنُجير وتنعة وشبوة وذمار.

أسماؤهن:

منهن (العمردة) بنت معدي كرب، و(هنيدة) بنت أبي شمر، فهاتان من الأشراف، ومن تأشب إليهن (التيحاء) الحضرمية، وهي أم سيف بن معدي كرب. و (أم شراحيل) بنت عفير، وهي جدة عبدالرحمن بن هارون من الأُرحوب. و(حبرة) بنت شريح، من الأرحوب. و(فُريضة) جدة أبي الجليح من حضرموت. و (مَلْكة) بنت أماناة بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك من كندة. و (أسماء) بنت يزيد بن قيس من بني وهب من كندة. و (مَلْكة) بنت قيس بن شراحيل، كندية، قتل أخوها يوم النجير. و (ابنة الأودح) ابن أبي كرب، كندية، قتل أخوها يوم النجير. و (امرأة من تنعة)، شريفة ماسميت. و (هر) بنت يامن اليهوية التي كانت يضرب بها المثل في الزنا فيقال: أزنى من هر. وكان لها أخ قين يقال له مَوْرَق. و (أم معدان).

فكتب امرؤ القيس بن عباس الكندي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعامله على كندة والصدف يومئذ المهاجرين أبي أُمية، وعامله على حضرموت زياد بن لبيد من بني بياضة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعملهما:

شمت البغايا يوم أعلن جهبل ... بنعي أحمد النبي المهتدى
صلى الإله عليه من مستودع ... أمسى بيثرب ثاوياً في ملحد
يا راكباً إما عرضت فبلغن ... عني أبا بكر خليفة أحمد
لا تتركن عواهرا سود الذرى ... يزعمن أن محمداً لم يفقد
أشف الغليل بقطعهن فإنها ... كالجمر بين جوانحي لم تبرد

وكتب رجل من تنعة كان شريفاً يقال له: شداد بن مالك بن ضمعج إلى أبي بكر رضي الله عنه:

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته ... إن البغايا رُمن كل مرام
أظهرن من موت النبي شماتة ... وخضبن أيديهن بالعُلاَّم
فاقطع هُديت أكفهن بصارم ... كالبرقِ أومَضَ في مُتونِ غَمَامِ

موقف الصديق منهن:

فلما قدم كتابهما على أبي بكر قال: جزى الله أخا كندة وأخا حضرموت عن الإسلام خيراً. ثم كتب إلى المهاجر بن أبي أمية: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر إلى المهاجر بن أبي أمية. أما بعد فإن العبدين الصالحين امرأ القيس بن عابس الكندي وشداد بن مالك الحضرمي اللذين أقاما على دينهما إذا رجع عنه جلّ قومهما فأثابهما الله على ذلك ثواب الصالحين وصرع الآخرين مصارع الظالمين، كتبا إلي يزعمان أن قبلهما نسوة من أهل اليمن كن يتمنين موت رسول الله ﷺ تأشب إليهن قيان لكندة وعواهر لحضرموت. فخضبن أيديهن وأظهرن محاسنهن وضربن بالدفوف جراءة منهن على الله واستخفافاً بحقه وحق رسوله ﷺ. فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهن بخيلك ورجلك حتى تقطع أيديهن. فإن دفعك عنهن دافع أو حال بينك وبينهن حائل فأعذر إليه باتخاذ الحجة عليه وأعلمه عظيم مادخل فيه من الإثم والعدوان. فإن رجع فاقبل منه. وإن أبي فنابذه على سواء: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [1]. ولعمرو الله ما أظن رجلاً بل هو اليقين زين لهن أسوأ فعلهن. ومنعك من قطعهن على مثل جناح البعوضة من دين محمد ﷺ. وايم الله يابن أبي

(١) سورة يوسف آية [٥٢].

أمية إني حين أخصك بهذا الأمر دون أن أتولاه نفسي لطيبة نفسي لك بالأجر العظيم والثواب الجزيل. واعلم أنها كرامة ساقها الله إليك إذ أجرى ذلك على يدك. عصمنا الله وإياك التقوى. وجعل الآخرة خيراً لنا ولك من الأولى.

نهايتهن:

فلما قرأ المهاجر الكتاب جمع خيله ورجله ثم سار إليهن. فحال بينه وبينهن رجال من كندة وحضرموت فأعذر إليهن. فأبوا إلا قتاله. ثم رجع عنه عامتهم. فقاتلهم، فهزمهم، وأخذ النسوة فقطع أيديهن. فمات عامتهن. وهاجر بعضهم إلى كوفة. فقال رجل من أهل حضرموت يعير رجلاً قطعت أمه يومئذ:

لقد قطعت عجوزك في تريم كما قطعت بمشطة أم سيف

وأما هر بنت يامن فوقع عليها رجل يقال له الأزعر، عسيف لأبي سعر الأذمري سفاحاً. فولدت له حبيباً. فوقع حبيب على دعجاء أمة خلاسية كانت لآل سخلب فولدت منه بحيرا. فهاجر بحيرا إلى الكوفة واتخذ نسباً في حضرموت. فقال شريك بن شداد التنعي يهجوه:

ما قطع الصدِّيق أمي ولا أبي نقيل زنيما خامل الأصل ملصق
عسيف لآل الأذمري مصرم يخال به من شدة الوبل أولق
ولا ولدتني هرة بنت يامن ولا كان خالي ذا الكتائف مورق
ولا ولدت دعجاء خالي ولا أبي ولا لي في حام بن نوح معلق
فقصرك مني يا بحير بضربة تظل لها أعفاج بطنك تفهق
وإن امرأ تنميه هر إذا انتمى ودعجاء أهل أن يذل ويطرق[1]

(١) المحبر ص (١٨٤- ١٨٩).

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله يسر وأعان، وبعد عرض هذه النماذج التي انتظمت في أربعة فصول، وثلاثة عشر مبحثاً أقف مشيراً إلى النتائج التالية:

١- لم ينفرد الرجال – في عصر الرسالة – بمناوأة الدعوة، بل شاركت النساء في ذلك، وإن كانت بنسبة لا تقارن بالرجال كمّاً وكيفاً، كما لا تقارن نسب المناوئات بالنساء المناصرات للدعوة في عصر الرسالة كمّاً ولا كيفاً.

٢- ابتدأت مناوأة النساء للدعوة في مراحلها المبكرة في مكة، واستمرت في المرحلة المدنية، بل وبعد انتصار الإسلام وهزيمة الخصوم.

٣- شملت مناوأة النساء للدعوة – في عصر الرسالة – المشركات والمنافقات والكتابيات.

٤- تجاوزت مناوأة النساء أرض الحجاز إلى جنوب الجزيرة إذ وجد في اليمن وحضرموت متمنيات موت الرسول ﷺ.

٥- اختلفت وسائل النساء المناوئات مابين الإيذاء الحسي، والمعنوي، وتنوعت أساليبهن في المناوأة مابين طرح الشوك في طريق النبي – ﷺ ، وسمّ الطعام، والمشاركة في قتال النبي ﷺ والمسلمين، ومحاولة ضرب النبي بالحجارة والتضييق على أصحاب الرسول ﷺ في الهجرة والدعوة والتهديد بالحبس ونحوه، بل والتصريح بطلب الكفر منهم، وإعلان الكره للرسول ﷺ وما يحيط به، وإيذائه في أهله وبناته، وسب الرسول ﷺ وشتمه صراحة، والسعي بالنميمة بين المسلمين لإفساد مابينهم والسخرية بالرسول ﷺ وما أنزل عليه،

ونقل أسرار المسلمين الحربية للمشركين، والتغني بهجاء الرسول ﷺ والمسلمين، وعيب الإسلام وأهله، والهجاء والتحريض والأذية لهم، وتمني نزول الضر بالرسول ﷺ وتمني موته.

٦- أما أساليب الرسول ﷺ مع هؤلاء المناوئات فقد تفاوتت بين الترك والصبر على الأذى، أو الغضب للمناوئة وطلب الانتقام، أو الدعوة للمناوئة بالإسلام.

والمتأمل يدرك أن هذا التفاوت يقتضيه المقام، وتطلبه أحوال المناوئات وطبيعة المقام، فقد يصبر النبي ﷺ على نوع من المناوأة تمسه شخصياً حتى لا يُظن أن ينتقم لنفسه، ويغضب إذا انتهكت محارم الله، وسخر بالدين وعيب الإسلام وأهله، فيأمر بإنهاء الساخر المستهزئ حتى يكف شره وتنتهي فتنته، وقد يحكم على من ظلمه وأذاه فيدعو له بالهداية تأليفاً له على الإسلام، وتطييباً لقلوب أصحابه، ومشاركة في حب الخير لأقرب الناس إليهم.

٧- وبكل حال فقد أثمرت هذه الأساليب النبوية مع المناوئات فأسلم بعضهن وحسن إسلامهن، وصرح بعض المناوئات بشدة المحبة والعزة للرسول ﷺ ومن حوله، وتحطمت المناوئات، وسارت الدعوة وانتصر الرسول ﷺ.

٨- ولئن قيل إن بعض أساليب المناوئات كانت ذات أثر في حياة الرسول ﷺ — كما في حدث سمّ الشاة — فقد اعتبرت هذه كرامة وشهادة للرسول ﷺ بعد أن بلغ الكتاب أجله، واستنفد الرسول ﷺ عمره المقدور له.

٩- ودرس أخير نستنتجه من وراء أخبار المناوئات، أن الصراع مع الباطل ومشاركة المرأة فيه، ابتدأ منذ بزوغ شمس الإسلام، وهو باقٍ ما بقي الصراع بين الحق والباطل، وإذا لم يسلم النبي ﷺ من الأذى والمناوأة فغيره من باب أولى، وقد تختلف الأساليب والهدف واحد، وحسب المسلمين أن يصبروا ويتلمسوا هدي الرسول ﷺ وأساليبه في التعامل مع خصوم الدعوة وعليهم أن يستيقنوا أن النصر للإسلام، والعزة للمسلمين إذا صدقوا وجاهدوا، ذلك درس من دروس السيرة النبوية، والله من وراء القصد وهو وحده الحسيب والمستعان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وخلاصة القول أن مناوءة النساء للدعوة في زمن النبوة كما اختلفت في نوعية ديانة النساء (بين مشركة وكتابية ومنافقة) فقد اختلفت في نوع المناوأة، حيث شملت المناوأة الحسية والمعنوية... بمحاولة الاعتداء والسخرية والاستهزاء والتضييق على المؤمنين لردهم عن الدين، أو إجبارهم على ترك الوطن والعشيرة، كما شملت مناوأة المرأة ضغطاً اجتماعياً يفرق بين المرء وزوجه كما في نموذج (حمَّالة الحطب).

أما سب الإسلام فحدث ولا حرج عن إسهام المناوئات فيه، بل ربما تطاولت المناوئة على زوجها إذا أسلم ويدين بالحق، ولو كان هذا المسلم زعيماً لقريش كما في قصة هند مع أبي سفيان.

لقد حملت المناوئة الرسائل السرية وشكلت نفسها فيما يعبر عنه اليوم بالجاسوسية المستأجرة، والمخابراتية، كما في قصة المرأة صاحبة حاطب.

و لم تستنكف المناوئة عن ميدان الجهاد، فقد كان لها في المجال العسكري سهمٌ بارزُ (وهند بنت عتبة في مقدمة ظعائن قريش في أحد)، واستخدمت الغناء والهجاء (صاحبة حاطب).

و لم يقتصر صنف المناوأة على ذوات النسب بل شمل الجواري، ولا انحصر في أرض الحجاز بل تجاوزه إلى أطراف الجزيرة... ولكن العاقبة للتقوى .

بل تحققت المعجزة فتحولت المناوأة إلى مناصرة والعدوة الكارهة إلى صديقة محبة، ولكن رسول الله ﷺ بصبره وحلمه واستمراره في الدعوة حتى لمن ناوأه.. كان وراء استجابة من استجاب من هؤلاء المناوئات وتاب، ولا شك أن فضل الله وقدرة وهدايته من وراء ذلك كله.

لكن درس نبوي في التعامل مع الخصوم فهذه يصفح عنها، وتلك يدعو لها.. وثالثة يحرص على هدايتها، ورابعة يعاقبها بما تستحق ويكف عن غيرها، وهكذا ينبغي أن نتعلم من السيرة ونستنطق نصوصها، ونستلهم العبر منها .

الفهرس

القسم الأول المرأة والدعوة في عصر النبوة ٣
المقدمة ٤
ميادين دعوة المرأة في زمن النبوة ٨
أولاً : مع الزوج (المرأة والدعوة مع الزوج) : ٨
١- التسلية والتثبيت : ٨
٢ – ثبات المرأة وإن زاغ زوجها : ١٠
٣ - دعوة الزوج للحق : ١٣
٤ - مساندة الزوج بالمال : ١٥
٥ – تشجيع الزوج على بذل الخير : ١٦
٦ – الجوار والتأمين : ١٨
٧ – مشاركة الزوج في الهجرة : ٢٠
٨ – مواساة الزوج والصبر على المصيبة : ٢٣
ثانيا : مع الأولاد : ٢٥
١ – تربية الناشئة : ٢٥
٢ – الدفاع عن النبي ﷺ : ٣٠
٣ – دوام المتابعة وتثمين الشهادة : ٣١
ثالثاً : مع الآباء والأمهات : ٣٢
١- مشاركة الأب في الدعوة : ٣٣
٢ - صلة الأم ودعوتها : ٣٣
٣ - الدفاع عن الأب الداعية ورعايته : ٣٥
رابعاً : مع الأخوة : ٣٧
١ – الدعوة للإسلام : ٣٧

٢- الصبر على المصاب : ٤٠

خامساً : مع بنات جنسها : ٤٢

١ – الدعوة للإسلام : ٤٢

٢ – تعليمهن أحكام الإسلام : ٤٦

٢ - صبرها على أذاهن : ٤٨

من أساليب المرأة في الدعوة ٥١

ومن هذه الأساليب الدعوية في زمن النبوة : ٥١

١) الثبات على الحق في زمن الشدائد : ٥١

٢) البلاغ المذكِّر : ٥٤

٣) النفقة في سبيل الدعوة : ٥٦

٤) البيعة على الإسلام وقول الحق أينما كن : ٦١

٥) الهجرة في سبيل الله : ٦٢

٦) احتساب المرأة (أو المرأة والحسبة) : ٦٧

٧) المرأة والجهاد : ٧٣

ب) المشاركة في الغزو : ٧٧

دروس وعبر من (فقه دعوة المرأة) : ٩٥

كيف تسهم المرأة بفاعلية في الدعوة ؟ ٩٧

القسم الثاني النساء المناوئات للدعوة في عصر النبوة ١٠١

المقدمة ١٠٢

الفصل الأول المناوئات الأول للدعوة بمكة ١٠٥

المبحث الأول (أم جميل) حمالة الحطب ١٠٥

المبحث الثاني : (أم سعد بن أبي وقاص) ١١٢

المبحث الثالث : (أم مصعب بن عمير) ١١٧
الفصل الثاني: مناوئات أسلمن وحسن إسلامهن ١٢١
المبحث الرابع : (هند بنت عتبة) ١٢٢
المبحث الخامس : (أم أبي هريرة) ١٣٠
المبحث السادس : (أم قِرفَة) ١٣٤
الفصل الثالث : مناوئات للدعوة في المرحلة المدنية ١٣٦
أولاً : المشركات ١٣٧
المبحث السابع : (ظعينة قريش) ١٣٧
المبحث الثامن : (جاريتا ابن خطل) ١٤٣
ثانياً : المنافقات : ١٤٦
المبحث التاسع : (امرأة عبد الله بن أبي) رئيس المنافقين وقصة الإفك ١٥٠
المبحث العاشر : (عصماء بنت مروان) ١٥٢
ثالثاً : الكتابيات (الذِّميات). ١٥٦
المبحث الحادي عشر : (يهودية كانت تشتم النبي ﷺ) ١٥٦
المبحث الثاني عشر : (اليهودية والشاة المسمومة) ١٦٠
المبحث الثالث عشر : (اليهودية القاتلة) ١٦٦
الفصل الرابع : مناوئات للدعوة من خارج أرض الحجاز (اليمن) ١٧٠
الخاتمة ونتائج البحث ١٧٤
الفهرس ١٧٨